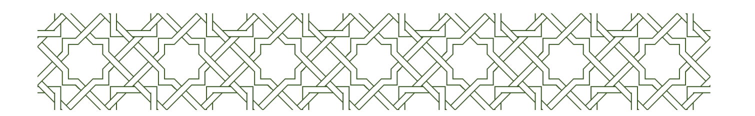
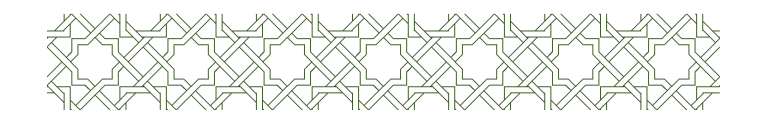

جوامع الهدي النبوي
أمهات الأحاديث النبوية الصحيحة
في هدي النبي ﷺ وجوامع كلمه وهديه
أ.د. حاكم المطيري



جوامع الهدي النبوي



أمهات الأحاديث النبوية الصحيحة

في هدي النبي ﷺ وجوامع كلمه وهداياته

أ.د. حاكم المطيري



المقَـدّمَة

الحمد لله وحده..

وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده..

وبعد..

فهذا كتاب (جوامع الهدي النبوي)، في كل أبواب الدين المهمة: في بيان معاني التوحيد وغاياته، وأركان الإيمان، وحقيقة الإحسان، وفرائض الإسلام، وأصول الشرائع والأحكام، إلى آخر باب جامع لوصاياه ﷺ، تحريت فيها الأحاديث النبوية الجامعة لهدايات كل باب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:٥٤]، وكما قال ﷺ: "أوتيت جوامع الكلم"، وقد اخترت ثلاثة أحاديث في كل باب؛ ليسهل حفظها على طلبة العلم، في ثلاثين بابا، بعدد أيام شهر رمضان المبارك، حيث كنت أنشرها في كل يوم من رمضان في حسابي في التويتر، كما شرحتها شرحا مختصرا، وقد تضمن الشرح شواهد نبوية لهذه الجوامع، بحيث يحيط طالب العلم بمعانيها من السنة النبوية نفسها، كما جاءت عنه ﷺ، وقد تحريت في هذا الكتاب الأحاديث الصحيحة، ففيها كفاية وهداية، وعامتها في الصحيحين أو أحدهما، أو في صحيح ابن خزيمة وابن حبان، ولا أذكر كل من خرجها، بل أكتفي بمصدر أو مصدرين، من أمهات كتب السنة السبعة، بعد ثبوت صحته عندي، وكل ما ورد في هذه الأبواب من هدايات، هو بيان وتفصيل لما جاء في القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]..

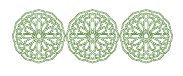
ولذلك قدمت لكل باب بآيات قرآنية هي الأصل، لتكون هذه الهدايات النبوية بيانا لها، في عصر أحوج ما تكون فيه الأمة إلى هداياته ﷺ، في فهم القرآن، للخروج من ملمات المحن، والنجاة من مدلهمات الفتن، التي تعصف بها، والوصول إلى حال الرشد، كما تحقق في أصحابه ﷺ حتى قال الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧]، بعد تحقق الاتباع المطلق منهم رضي الله عنهم له ﷺ، كما جاء في أول السورة، فلم يقدموا بين يديه ﷺ رأيا ولا هوى..

هذا ونسأل الله الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، وأن يحبب إلينا الإيمان، وأن يزينه في قلوبنا، ويجعلنا من الراشدين، آمين آمين..

وكان الفراغ منه يوم العيد

الجمعة١ شوال ١٤٣٦ هـ

الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٥م



المجلس الأول

هديه ﷺ في الدعوة إلى أول واجب وهو توحيد الله ﷻ وبيان مراتب الدين وهي: الإسلام وفرائضه، والإيمان وأركانه، والإحسان وحقيقته:

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[البقرة:٢٨٥]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نزلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾سورة النساء

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ سورة الكهف،

وقال ﷻ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]

١) عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ" وزاد: "واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" متفق عليه والزيادة لمسلم.

٢) عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: كُنتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ عَلَى حِمارٍ فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ هَل تَدري مَا حَقُّ اللَّه عَلى عِبَادِهِ، ومَا حَقُّ الْعِبادِ عَلى اللَّه؟ قُلْتُ: اللَهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:" فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَن يَعْبُدُوه، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحقَّ العِبادِ عَلى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشِركُ بِهِ شَيْئًا، فقلتُ: يَا رسولُ اللَّهِ أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "لاَ تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا" متفق عليه.

٣) عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" رواه مسلم في صحيحه، ورواه البخاري عن أبي هريرة.

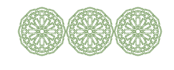


۞شرح المجلس۞

في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول واجب على الخلق وهو توحيد الله وإفراده وحده لا شريك له بكل ما يجب له في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته وطاعته وحبه وخشيته والتوكل عليه والتحاكم إليه.

وفي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان حق الله جَلَّ جَلَالُهُ على العباد وهو عبادته وحده لا شريك له وثواب من وحده وعقاب من أشرك به.

وفي حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيان مراتب الدين: وأولها وأوسعها الإسلام، وهو الفرائض الخمس الظاهرة، وأوسطها الإيمان وأركانه وهي أعمال القلوب والاعتقادات الباطنة، وأعلاها الإحسان وهو العبودية الدائمة ظاهرا وباطنا في كل الأحوال.





المجلس الثاني

في بيان حقيقة المسلم والمؤمن والمهاجر والمجاهد وأن لهذه الألفاظ الشرعية ظواهر وحقائق وتترتب عليها أحكام وحقوق...

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحجرات]، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهم إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهم يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [سورة الأنفال] **وقال** ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٧٤]، **وقال** ﷻ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨]، **وقال** ﷻ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة العنكبوت]، **وقال** ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس]، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة النحل]

١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ" رواه البخاري في صحيحه.

٢) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ" متفق عليه في الصحيحين.

وفي رواية أبي هريرة: " وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَه النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ" وزاد فضالة بن عبيد "وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ" رواهما أحمد.

٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: "لا تَحاسدُوا وَلاَ تناجشُوا وَلاَ تَباغَضُوا وَلاَ تَدابرُوا وَلاَ يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْوانًا. المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لاَ يَظلِمُه وَلا يَحْقِرُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ. التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المُسْلِمَ. كُلَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ" رواه مسلم في صحيحه.

❁شرح المجلس❁

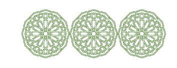
المسلم ظاهرا كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأقر بالإسلام، ويترتب عليه أن له كل حقوق الإسلام، فله ذمة الله ورسوله فلا يُظلم ولا يُخذل، وحقيقة المسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده فلا يعتدي ولا يظلم ولا يؤذي أحدا بقول أو فعل فهذه حقيقة الإسلام.

والمؤمن ظاهرا من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والمؤمن حقيقة من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فمن لم يمنعه إيمانه بالله واليوم الآخر من الاعتداء على الخلق، ولا يأمنه الناس على أنفسهم وأهليهم فلا إيمان له على الحقيقة.



والمهاجر ظاهرا من ترك وخرج من بلده فرارا بدينه، وحقيقةً هو من هجر وترك المحرمات والمعاصي فرارا إلى الله ورضاه وجنته.

والمجاهد ظاهرا من قاتل في سبيل الله لإعلاء لكلمة الله دفاعا عن مظلوم ونصرة لحق، وحقيقة هو من جاهد نفسه على طاعة الله ولزوم أمره، فمن لم تتحقق له هذه الحال فلا حقيقة لجهاده.



المجلس الثالث

في بيان مراتب الطاعات والواجبات والمندوبات وتفاوت درجاتها، وحقيقة الولاية الإيمانية التي يدخل بها المؤمن الجنة وينجو من النار، والولاية الإحسانية التي تبلغ بالمؤمن مراتب الصديقين:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ سورة التوبة **وقال** ﷻ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]، **وقال** ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ سورة البقرة، **وقال** ﷻ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ سورة يونس، **وقال** ﷻ: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، **وقال** ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

١) عن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةِ" فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ". فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ"، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ". قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ، لَا أَزِيدُ

عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ" وفي لفظ: " دخل الجنة إن صدق" متفق عليه في الصحيحين.

٢) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: منْ عادى لي وَلِيًّا. فقدْ آذنتهُ بالْحرْب. وَمَا تقرَّبَ إِلَيَ عبْدِي بِشْيءٍ أَحبَّ إِلَيَ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ: وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِل حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سأَلَنِي أَعْطيْتَه، ولَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَّنه "رواه البخاري.

٣) عن أَنس وأبي ذروأبي هريرة رضي الله عنهم عن النَّبيّ ﷺ " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " متفق عليه عن أبي هريرة واللفظ له، ورواه البخاري عن أنس مختصرا، ورواه مسلم عن أبي ذر ولفظه: "يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً".

❁شرح المجلس❁

في حديث طلحة ﵁ بيان للفرائض التي يجب على كل مؤمن أداؤها وهي فرائص الإسلام الخمس التي تجب على كل مكلف، وبها تتحقق الولاية الإيمانية، ويتحقق الفلاح ودخول الجنة، إذا أداها المؤمن صادقا بلا رياء ولا نفاق لقوله ﷺ: "أفلح إن صدق" فالصدق بأدائها بلا نقص كما قال الأعرابي، والصدق بلا رياء، فأداها لوجه الله بصدق الإيمان.

وفي حديث أبي هريرة ﵁ بيان لتحقق الولاية الإحسانية وهي التي يزيد فيها المؤمن على أداء الفرائض بالتقرب إلى الله ﷻ بالنوافل حتى يحبه الله ويتولاه في كل شئونه في الحياة، فلا يفعل ولا يقول إلا ما يرضي الله، فيكلؤه الله ويحفظه ويرعاه.

وفي الحديث الثالث بيان أن ذكر الله ﷻ لعبده المؤمن بحسب ذكر العبد لله، وكلما زاد العبد إقبالا على الله أقبل الله عليه وتولاه.

وفي هذه الأحاديث دليل على تعدد شعب الإيمان وتفاضلها وشمولها للاعتقاد والقول والعمل وكثرة أبواب الخير وتنوعها، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ سورة البقرة.

وفي الحديث عن أبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: "الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسبْعُونَ شعبة: فَأَفْضلُهَا قوْلُ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عنِ الطَّرِيقِ، وَالحيَاءُ شُعْبةٌ مِنَ الإِيمانِ" متفق عليه في الصحيحين وهذا لفظ مسلم.

ففيه بيان تفاضل شعب الإيمان وشمولها لكل أعمال البر والخير، فأعلاها وأفضلها توحيد الله والشهادة له بالألوهية عبادة وطاعة، وأدناها إزالة الأذى من طريق الناس، ومن شعب الإيمان: الحياء وهو خلق نفسي يمنع الإنسان عن كل فعل مذموم، ودل الحديث على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وسلوك، وأن غايته حث الإنسان على فعل الخير وكف الشر عن الخلق، بأقواله وأفعاله وأحواله.

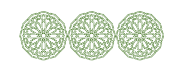
وعن أَبِي موسى الأشعري وأبي هريرة، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صدقةٌ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجدْ؟ قالَ: "يعْمَل بِيَديهِ فَينْفَعُ نَفْسَه وَيَتَصدَّقُ": قَال: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يسْتطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهوفَ" قالَ: أَرأَيْت إِنْ لَمْ يسْتَطِعْ قالَ: "يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ" قالَ: أَرأَيْتَ إِنْ لَمْ يفْعلْ؟ قالَ: "يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صدَقةٌ" متفق عليه وهذا لفظ أبي موسى. ولفظ أبي هريرة: "كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ".

وفيه بيان مفهوم الصدقة، وأنها تشمل كل أبواب الخير، وتشمل الصدقة عن النفس وعلى الغير، وأولها العدل في الحكم، ورفع الظلم، وإعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، والصدقة على الفقير، وإزالة الأذى عن الطريق،

والكلمة الطيبة، وأدناها كف الشر عن الناس فهي صدقة على النفس وصدقة عنها.

وعن عدي بن حاتم الطائي، قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سيُكَلِّمُه ربُّه لَيْس بَيْنَهُ وبَينَهُ تَرْجُمَان، فَينْظُرَ أَيْمنَ مِنْهُ فَلا يَرى إلاَّ مَا قَدَّم، وينْظُر أشأمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَينْظُر بَيْنَ يدَيْهِ فَلا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجدْ فَبِكَلِمَة طيِّبَةٍ" متفق عليه.

وفيه بيان عدم ازدراء شيء من المعروف ولو شق تمرة يطعمها فقيرا، أو كلمة طيبة يسعد بها قريبا، أو يؤنس بها غريبا، ويقي بها نفسه من النار، فالإنسان أحوج ما يكون يوم القيامة للحسنة الواحدة، وقد تكون سببا لرجحان كفة الميزان يوم الحساب بحسناته على سيئاته ولا يدري لعل تلك التمرة أو الكلمة هي تلك الحسنة التي تقيه من النار ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ الزلزلة.



المجلس الرابع

في بيان السبع المنجيات والسبع الموبقات وما يعد نفاقا من الصفات:

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿١١٢﴾﴾ سورة التوبة، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ سورة الأحزاب، **وقال** ﷻ: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَها وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ سورة الأنعام

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قالَ: "سبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللَّه في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، ورَجُلان تَحابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقال: إِنِّي أَخافُ

اللَّه، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" متفق عليه.

٢) عن أبي هُرِيْرة ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه ومَا هُن؟ قَالَ: الشِّرْك بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالحقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليتِيمِ. والتَّوِلِّي يوْمَ الزَّحْفِ، وقذفُ المُحْصنَاتِ المُؤمِنَاتِ الغافِلاتِ" متفق عليه.

٣) عن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص ﷺ، أنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: "أرْبع مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومنْ كَانَتْ فِيه خَصلَةٌ مِنهن كانَتْ فِيهِ خَصْلَة مِن النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمن خَان، وإذَا حدَّثَ كذَبَ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَر، وَإِذا خَاصَم فَجَرَ" وفي لفظ: "وإذا وعد أخلف" متفق عليه.

۞شرح المجلس۞

في الحديث الأول بيان للسبع المنجيات، وبدأ بالإمام العادل؛ لما يتحقق بالعدل من الإصلاح في الأرض الذي بعث الله الأنبياء من أجله، ولما في السلطة من الفتنة المفسدة التي لا يسلم منها إلا من عصمه الله وكتب له السعادة، ثم ثنى بالشاب الذي نشأ في طاعة الله وعبادته لما للفتوة والقوة من فتنة تدفع للشهوة، فاستحق من آثر طاعة الله وعبادته من الشباب على هوى نفسه وشهوته هذا الشرف العظيم يوم القيامة، ثم ثلث بأهل الزهد الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد حيث لم تشغلهم أموالهم

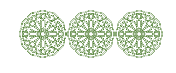
ولا أولادهم ولا فتنة الدنيا عن ذكر الله والمواظبة على الصلوات في أوقاتها في بيوت الله، وربع بأهل الله المتحابين في الله بالأخوة الإيمانية، وكان اجتماعهما واصطحابهما في الله على مرضاة الله وطاعته، حتى افترقا بالموت أو الرحيل، ووقاهما الله فتنة التحاسد والتنافس والتكاثر، ثم ذكر أهل العفاف ممن وقاهم الله فتنة النساء، كحال من دعته امرأة فيها كل دواعي الفتنة من جمال ومال وجاه فآثر ما عند الله على هواها وهواه، ثم ذكر أهل الصدقة ممن ينفقون أموالهم سرا يرجون تجارتهم مع الله، فينفق أحدهم على الفقراء والمساكين ابتغاء وجه الله، وأن يستظل بعرشه يوم لا ظل إلا ظله، حتى إنه من شدة إخلاصه في صدقته لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، حيث وقاه الله فتنة حب المال، ثم ذكر أهل الذكر والتفكر وأهل الخلوة بالله والأنس به والخشية منه كحال هذا الرجل الذي يذكر الله في خلواته وصلواته وتفيض عيناه خوفا وتألها، فاشتمل الحديث على أبواب الخير كلها التي بها صلاح الإنسان والمجتمع : العدل بين الخلق، والعبادة والطاعة للخالق، والأخوة والمحبة للمؤمنين، والزهد في الدنيا، والعفاف والطهارة من الفواحش، والصدقة على الفقراء، والذكر والإخلاص.

كما في الحديث تحذير من فتنة السلطة، وفتنة القوة والشباب، وفتنة الدنيا، وفتنة النساء، وفتنة التحاسد بين الإخوان، وفتنة المال،

وذكر في الحديث الثاني السبع الكبائر المحرمات؛ لعظيم ضررها على الإنسان والمجتمع عقائديا كالشرك والسحر، أو اقتصاديا كالربا، أو

اجتماعيا كقتل النفس وأكل أموال اليتامى والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات، وللمحافظة على الضروريات الخمس التي بها يتحقق الأمن للفرد والمجتمع بالمحافظة على الدين بتحريم الشرك، وعلى النفس بتحريم القتل، وعلى العقل بتحريم السحر، وعلى العرض بتحريم القذف، وعلى المال بتحريم الربا وأكل مال الضعيف.

والحديث الثالث في بيان صفات النفاق التي تنافي حقيقة الإيمان الذي هو الصدق؛ ولما تفضي إليه من فساد ذات البين بين المؤمنين، الذي هو غاية أهل النفاق، كمن إذا أؤتمن خان، والخيانة تنافي الأمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له، وإذا حدث كذب، وهو ينافي صدق الحديث، والإيمان كله قائم الصدق بالقول والعمل، وإذا عاهد أو وعد أخلف، والغدر والخلف للوعد ينافي الصدق، وإذا خاصم فجر فافترى على خصمه، والفرية والفجور ينافيان الصدق والإيمان.



المجلس الخامس

في اشتراط النية والقصد لقبول الأعمال وترتب آثارها عليها وأولوية إصلاح الضمائر والسرائر على إصلاح الأعمال والظواهر:

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[سورة البقرة]، وقال ﷻ: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنفال:٧٠]، وقال ﷻ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب:٥].

١) عن عمر رضي الله عنه، قالَ: سمعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: "إنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كاَنْت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَر إليْهِ" متَّفَقٌ عَلَى صحَّتِه.

٢) عَنْ أبي هُرِيْرة رضي الله عنه،قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ" رواه مسلم.

٣) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُول الله ﷺ ، فِيما يَرْوى عَنْ ربِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: "إِنَّ اللهَ كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ: فمَنْ همَّ بِحَسَنةٍ فَلمْ يعْمَلْهَا كتبَهَا اللَّهُ تبارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلةً وَإِنْ همَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائِةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسيِّئَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فعَمِلَها كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً" متفق عليه.

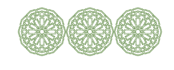


شرح المجلس

الحديث الأول جعل النيات والمقاصد هي روح الأعمال التي لا توجد إلا بها (إنما الأعمال بالنيات)، فإذا فُقدت النية والقصد فلا وجود للعمل شرعا وحقيقة، وإن وجد الفعل صورة، فلا عبرة بأفعال المخطئ والناسي والمكره والصبي والمجنون، ولا تترتب عليها آثارها في العقود والمعاملات، كما جعل الحديث (لكل امرئ ما نوى)؛ فالنية عمل القلب وعبادته، فقد يؤجر الإنسان عليها وإن لم يستطع القيام بالفعل المشروع.

والحديث الثاني فيه بيان أن الله جعل المعيار في الدنيا والآخرة في الحكم على الناس بالأفضلية ليس صورهم وأشكالهم، ولا جاههم وأموالهم، ولا أنسابهم وأحسابهم، ولا قربهم من النبي ﷺ وقرابتهم، بل ينظر إلى صلاح أعمالهم وظواهرهم، وصلاح أحوال قلوبهم وضمائرهم.

والحديث الثالث فيه وجوب إصلاح همّ النفس، حتى لا تهم إلا بفعل الخير، وأن الإنسان يؤجر على الهم الصالح، كما يأثم بالهم الآثم، والتحذير من هم السوء ووجوب الرجوع عنه، فمن رجع عنه خوفا من الله كتب الله له به حسنة رحمة منه بعباده لعلهم يرجعون ويتوبون حتى عن مجرد الهم بالسوء فضلا عن فعله.



المجلس السادس

في بيان شرط قبول العبادة والدعاء الإخلاص وعدم الإشراك والاتباع للنبي ﷺ وعدم الابتداع ولزوم الحلال واجتناب أكل الحرام:

قال تعالى:﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝٣٢﴾سورة آل عمران، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾سورة الأحزاب.

١) عَنْ أبي هُرِيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّه تعَالى: أنَا أغْنى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّركِ، منْ عَملَ عَمَلا أشْركَ فيهِ معي غَيْرِي، تَركْتُهُ وشِرْكَهُ" رواه مسلم.

٢) عن عائشةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ : "منْ أَحْدثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فهُو رَدٌّ" متفقٌ عَلَيهِ. وفي رواية لمسلمٍ: "مَنْ عَمِلَ عمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو ردٌّ".

٣) عَنْ أبي هُرِيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ:"أيُّهَا النَّاسُ إنَّ اللَّه طيِّبٌ لاَ يقْبلُ إلاَّ طيِّبا، وَإنَّ اللَّه أمَر المُؤمِنِينَ بِمَا أمَر بِهِ المُرْسلِينَ، وَقَال تَعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَر أشْعَثَ أغْبر يمُدُّ يدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَاربِّ يَارَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُه حرَامٌ، ومَلْبسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بِالْحَرامِ، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟" رواه مسلم.

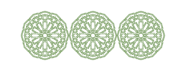
شرح المجلس

في الحديث الأول بيان وجوب الإخلاص - وهو عمل القلب بأن لا يريد من عمله إلا الله ثم عمل الظاهر بعدم صرف شيء من العبادات والقربات لغير الله - واشتراطه لقبول الأعمال الصالحة، وأن تكون لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئا منها لغير الله حبط عمله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك.

وفي الحديث الثاني اشتراط اتباع النبي ﷺ لقبول الأعمال وصحتها، فمن ابتدع فقد استدرك على النبي ﷺ وافتأت عليه، وإنما بعثه الله ليتبعه المؤمنون ويقتدوا به، فمن أحدث في دينه ما ليس منه فهو مردود باطل غير مقبول.

وفي الحديث الثالث اشترط لقبول الدعاء وهو الغاية من العبادات كلها؛ لزوم تحري الحلال من الطعام والأموال والأثاث واللباس، وأن الله لا يقبل ولا يستجيب دعاء من أكل الحرام ولبس الحرام.

فصار شرط قبول الأعمال والدعاء بالإخلاص وترك الشرك، وباتباع السنة وترك الابتداع، وبتحري الحلال وترك الحرام والمعاصي.



المجلس السابع

حقيقة تقوى الله وما يتجنبه المؤمن من الشبهات اتقاءً للمحرمات، وما يتقيه من الظنون والاتهامات، وطريقة معرفة المشتبهات:

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى﴾[البقرة:١٨٩] **وقال ﷻ:** ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾سورة آل عمران **وقال ﷻ:**﴿فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[الحج:٣٤].

١) عن النُّعمان بنِ بَشيرٍ رضي الله عنه،عن رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَينهما مُشْتَبِهاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّبُهاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشبُهاتِ، وقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعي يرْعى حَوْلَ الحِمى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَع فِيهِ، أَلاَ وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمهُ، أَلاَ وإِنَّ فِي الجسَدِ مُضغَةً إِذَا صلَحَت صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ، وَإِذا فَسَدَتْ فَسدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" متفق عليه.

٢) عنْ أَبي هُريْرةَ رضي الله عنه،أنَّ رسُول اللَّه ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكذبُ الحدِيثَ، ولا تحَسَّسُوا، وَلاَ تَجسَّسُوا، وَلاَ تنافَسُوا، وَلاَ تحَاسَدُوا، وَلاَ تَباغَضُوا، وَلاَ تَدابَرُوا، وكُونُوا عِباد اللَّهِ إِخْوانًا كَما أمركُمْ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يظلِمُهُ، وَلاَ يخذُلُهُ، وَلاَ يحْقرُهُ، التَّقوى

هٰهُنا، التَّقوَى ههُنا "ويُشِير إِلَى صَدْرِه" بِحْسبِ امريءٍ مِن الشَّرِّ أنْ يحْقِر أخاهُ المسِلم، كُلُّ المُسلمِ عَلَى المُسْلِمِ حرَامٌ: دمُهُ، وعِرْضُهُ، ومَالُه، إنَّ اللَّه لاَ يَنْظُرُ إِلَى أجْسادِكُمْ، وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ ولكنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعْمَالِكُمْ" متفق عليه.

٣) عن النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: "البرُّ حُسنُ الخُلُقِ، وَالإِثمُ مَا حاكَ فِي نفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ" رواه مسلم.

❁شرح المجلس❁

في هذه الأحاديث النبوية بيان لحقيقة التقوى وأن لها ظاهرا وباطنا، فظاهرها على ثلاثة أقسام:

١- تقوى تمنع من الوقوع في حدود الله ومحرماته بترك المتشابهات من المكروهات وما لا يعرف الإنسان حكمه، كما في حديث: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ" رواه الترمذي وأحمد، وحديث: "اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ" رواه الترمذي وأحمد وحسنه الألباني، فيجعل المؤمن بينه وبين المحرمات وقاية.

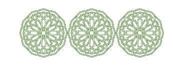
٢- تقوى تمنع المؤمن من الوقوع في حقوق العباد وحرماتهم، بترك الظنون والتحسس والتجسس التي تفضي إلى انتهاك حرمات الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم أو ازدرائهم.

٣- تقوى تمنع المؤمن من الوقوع في سوء الخلق والإثم حتى في خاص نفسه، وذلك بلزوم البر وحسن الخلق، وترك كل ما حاك بالنفس مما يريبها ولا تطمئن إليه، كما قال ﷺ لوابصة بن معبد ﷺ: (جِئْتَ تسأَلُ



عنِ البِرِّ؟ "قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثمُ مَا حاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ) رواه أحمد.

وأما تقوى الباطن فهي تقوى القلب وصلاح الضمير، فالتقوى في القلب فإذا صلح صلح الظاهر، والقلب هو الحكم إذا اشتبهت الأمور على المؤمن، فإذا اطمأن للشيء وانشرح له، ولم يحك في النفس، ولم يتلجلج بها، ولم يخش المؤمن اطلاع الناس عليه، فهو البر والخير، وعكسه الإثم والشر.





المجلس الثامن

فضل الطهور وحقيقته، وتطهير القلب والخلق والبدن من الرجس والنجس:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾سورة المدثر، **وقال** ﷻ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ سورة الحج، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة:٢٢٢]، **وقال** ﷻ: ﴿ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب:٥٣] **وقال** ﷻ: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ﴾[الأنفال:١١]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أَوْ عَلى سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾سورة البقرة.

١) عن الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأَ الْمِيزانَ، وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للَّه تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السَّموَات وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةِ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ،

وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاس يَغْدُو، فَبِائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا" رواه مسلم.

٢) عن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﵁،أنه حين وصف وضوء النبي ﷺ "دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاث مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَضْمَضَ [واستنشق] وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ". ثُمَّ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: "وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هَذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلَاةِ" متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٣) عَنْ عَائِشَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي المَاءِ، فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعَرِهِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ غُرَفٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ المَاءَ عَلَى جِلْدِهِ كُلِّهِ" متفق عليه.



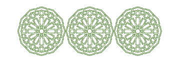
۞شرح المجلس۞

في الحديث الأول فضل الطهور وأنه شطر الإيمان ونصفه، وشرط صحته، وهو ثلاثة أقسام:

١- الطهور الإيماني، بالتطهر من الرجز والرجس كالشرك والنفاق والرياء والفسق، وكل ما أمر الله بالتطهر منه واجتنابه وتركه كما قال تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾[سورة المدثر]، والنصف الآخر للإيمان هو التوحيد والعمل الصالح، فالإيمان لا يتحقق إلا بالتخلية بالتطهر من الرجز والرجس والإثم، وبالتحلية والتزكية والإتيان بالتوحيد وأركان الإسلام وفرائضه ومستحباته.

٢- والطهور للعبادة، ويكون باجتناب النجاسات، والتطهر منها في البدن والثوب والمكان، والتطهير لما أصابته منها، والتطهر للعبادة بالوضوء والغسل.

٣- والطهور الأخلاقي، باجتناب رذائل الأخلاق ومساوئها وتطهير النفس وتزكيتها بحسن الخلق والعمل الصالح، وفي حديث عثمان رضي الله عنه صفة الوضوء الواجب والمسنون وكماله وثوابه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها صفة غسل النبي ﷺ من الجنابة وهو أكمل الغسل المسنون، والغسل الواجب منه تعميم الجسد بالماء.



المجلس التاسع

في فضل فريضة الصلاة وشروطها والمشي إليها وإقامتها في المسجد جماعة وصفة أدائها:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن]، **وقال** ﷻ: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨] **وقال** ﷻ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ ﴿٣٦﴾ رِجالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النور]. **وقال** ﷻ: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الإسراء]، **وقال** ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة هود]. **وقال** ﷻ: ﴿فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الروم]. **وقال** ﷻ: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى وَقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْبانًا فَإِذا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَما عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة]، **وقال** ﷻ: ﴿وَإِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا

﴿وَإِذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ وَلْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ سورة النساء. وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ سورة الجمعة.

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ" رواه مسلم.

٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إلا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ" متفق عليه.

٣) عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجِدَ فَصَلَّى، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَالَ: "وَعَلَيْكَ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: فَأَعْلِمْنِي، قَالَ ﷺ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ، فَكَبِّرْ وَاقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ وَتَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، [ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا]، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا" متفق عليه.

۞شرح المجلس۞

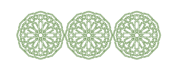
في هذه الأحاديث الثلاثة:

١- بيان ما يحط الله به عن العبد الخطايا ويرفع به الدرجات، ومن ذلك إسباغ الوضوء وكمال التطهر للصلوات خاصة مع المشقة في البرد، وكثرة الخطا إلى المساجد، وكلما كان مسجد الحي أبعد كان الأجر على قدر المشقة في المشي إليه، وانتظار المصلي للصلوات والاستعداد لأدائها، والتهيؤ لها قبل دخول وقتها، واللبث في المسجد حتى يؤديها، فهذا كالرباط في الجهاد، وهو رباط العباد والزهاد.

٢- بيان فضل الصلاة في الجماعة وفي المسجد، وأنها أفضل من البيت والسوق بخمس وعشرين ضعفا، وفيه فضل إحسان الوضوء، وفضل

الخطا والمشي للصلوات، وأنه مما يحط الخطايا ويرفع الدرجات، وفيه استحضار النية واستصحابها عند خروجه للمسجد، وأنه لم يخرج إلا ابتغاء وجه الله ورضاه، وفضل اللبث في المصلى للذكر، أو انتظارا للصلاة، وأن ذلك صلاة، وسبب لاستغفار الملائكة للمصلي.

٣- وفي الحديث الثالث بيان صفة الصلاة، التي لا تصح إلا بها، كما علم النبي ﷺ المسيء فيها، وقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل"، وبيان شروطها ابتداء من الوضوء، ثم استقبال القبلة، ثم أركانها وهي: تكبيرة الإحرام، ثم قراءة الفاتحة وما تيسر من القرآن، ثم الركوع والاطمئنان فيه، ثم الرفع منه والاطمئنان فيه، ثم السجود والاطمئنان فيه، ثم الرفع منه والجلوس مطمئنا، ثم السجود ثانيا بطمأنينة، ثم الجلوس، وتكرار ذلك في كل ركعة.



المجلس العاشر

فريضة الزكاة ونصابها وأصناف الأموال الزكوية والحث على الصدقة والبدء بمن يعول والاستعفاف عن السؤال والاستغناء بالله:

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ سورة التوبة، **وقال** ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْه تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾سورة البقرة، ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[البقرة:٢٧١]، **وقال** ﷻ:﴿وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَما تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافًا وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾سورة البقرة، **وقال** ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشابِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ سورة الأنعام، **وقال** ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ سورة الروم، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ وَالْعامِلِينَ عَلَيْها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقابِ وَالْغارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ سورة التوبة.

١) عن أنس وأبي سعيد الخدري وجابر رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال أنس رضي الله عنه: "أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَه، "فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا، فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلاَ يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الغَنَمِ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ شَاةٌ إِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ، فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ أُنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلاَثِينَ إِلَى خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بِنْتُ لَبُونٍ أُنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طَرُوقَةُ الجَمَلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، فَفِيهَا جَذَعَةٌ فَإِذَا بَلَغَتْ يَعْنِي سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ، فَفِيهَا بِنْتَا لَبُونٍ فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِيهَا حِقَّتَانِ طَرُوقَتَا الجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا مِنَ الإِبِلِ، فَفِيهَا شَاةٌ وَفِي صَدَقَةِ الغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ شَاةٌ،

فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ شَاتَانِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلاَثِ مِائَةٍ، فَفِيهَا ثَلاَثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلاَثِ مِائَةٍ، فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ، فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً مِنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ العُشْرِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا تِسْعِينَ وَمِائَةً، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا"

ولفظ جابر وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: "لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنْ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنْ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ، ولَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنْ التَّمْرِ صَدَقَةٌ" متفق عليها.

٢) عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ " متفق عليه.

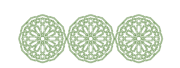
٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ " متفق عليه.

❁شرح المجلس❁

في هذه الأحاديث بيان أحكام فريضة الزكاة، وهي زكاة ونمو للمال، وتزكية له مما قد يشوبه من حرام، وتطهير للنفس من الشح والبخل والأنانية، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، وهي تؤخذ من أموال مخصوصة، بمقادير مخصوصة، من الأنعام والماشية من الإبل والبقر والغنم، ومن حبوب الزروع، وثمار الأشجار، ومن الذهب والفضة، إذا بلغ المال نصابه، فإذا قل عنه لم يجب فيه زكاة، إلا أن يطوع صاحبه.

وفي حديث حكيم رضي الله عنه الأمر بالاستغناء عن السؤال، بالعمل وكسب المال، وأن يكون المؤمن غنيا يتصدق، لا فقيرا يستجدي، فاليد العليا خير من السفلى، وفيه الحث على البدء بالأهل بالإنفاق عليهم بما يسد حاجتهم ويغنيهم، وأن يتصدق الإنسان عن ظهر غنى بما يفضل عن حاجته وحاجة أهله، وأن يستعف إذا احتاج، وأن يستغني بالله عن الخلق.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه حث على الصدقة، وأن تكون من المال الطيب، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ولو بتمرة، والطيب ما كان كسبه حلالا، وتصدق به المؤمن عن طيب نفس، وألا يستقل المؤمن الصدقة، فإن الله يأخذها بيده وينميها مهما قلت، حتى تكون يوم القيامة كجبل أحد.



المجلس الحادي عشر

فضل الصيام وحقيقته وهو كف النفس عن كل شهواتها وغايته تحقيق التقوى وبيان أحكامه:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كانَ مَرِيضًا أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى مَا هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ باشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ سورة البقرة.

١) عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، إِلَّا أَنْ يُغَمَّ

عَلَيْكُمْ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ"، وفي رواية: "فَاقْدُرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ" وهذا لفظ ابن عمرﷺ. ولفظ أبي هريرة ﷺ: "إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا" متفق عليهما.

٢) عنْ أبي سعيد الخدري وأَبي هُريرة ﷺ، واللفظ له، قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَالَ اللَّه عَزَّ وجلَّ: كُلُّ عملِ ابْنِ آدَمَ لهُ إلاَّ الصِّيام، فَإِنَّهُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ، والصِّيام جُنَّةٌ، فَإذا كَانَ يوْمُ صوْمِ أَحدِكُمْ فَلاَ يرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سابَّهُ أَحدٌ أَوْ قاتَلَهُ، فَلْيقُلْ: إِنِّي صَائمٌ. والَّذِي نَفْس محَمَّدٍ بِيدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائمِ أَطْيبُ عِنْد اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، للصَّائمِ فَرْحَتَانِ يفْرحُهُما: إِذا أَفْطرَ فَرِحَ بفِطْرِهِ، وإِذَا لَقي ربَّهُ فرِحِ بِصوْمِهِ" متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة، وفي رواية للبخاري: "يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا" وفي رواية لمسلم: "كُلُّ عَملِ ابنِ آدَمَ يُضَاعفُ الحسَنَةُ بِعشْر أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِائة ضِعْفٍ. قَالَ اللَّه تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وأَنا أَجْزي بِهِ: يدعُ شَهْوتَهُ وَطَعامَهُ مِنْ أَجْلي"

٣) عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذنْبِهِ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "منْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" متفق عليه وقال ﷺ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمانًا واحْتِسَابًا، غُفِر لَهُ مَا تقدَّم مِنْ ذنْبِهِ" متفق عليه وقال ﷺ: "إِذا نَسِيَ أَحَدُكُم، فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّه وَسَقَاهُ" متفق عليه وقال ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدعْ قَوْلَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فلَيْسَ للَّهِ حَاجةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعامَهُ وشَرَابهُ" رواه البخاري.

۞شرح المجلس۞

في الحديث الأول الأمر بصيام شهر رمضان عند رؤية هلاله، والفطر عند رؤية هلال شوال، وأن الشهر لا يقل عن تسعة وعشرين ليلة، ولا يزيد عن ثلاثين، وأنه إن غم الهلال وحال دون رؤيته غيم أو غبار، فيُصام تمام الثلاثين، وفيه النهي عن الصيام قبل رؤية الهلال ودخول الشهر.

وفي الحديث الثاني بيان حقيقة الصوم وأنه جنة ووقاية لتحقيق الغاية منه وهي التقوى، وذلك بالصوم عن المباح من الطعام والشراب والجماع، نهار رمضان؛ ليكون الصائم على اجتناب الحرام في سائر الأوقات أقدر، وعنها أبعد، فيكون ذلك جنة ووقاية وتقوى، وفيه بيان ما يجب على الصائم الإمساك عنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهما شهوة الأكل والشرب، وشهوة الجماع والرفث، فيدخل فيهما كل مقدماتهما التي تكون عن شهوة، وفيه كذلك ما يجب على الصائم من ترك شهوة النفس بالانتقام عند السباب والمشاتمة، وكف اللسان عن المحرمات القولية من

سب وكذب وغيبة ونميمة، وكف اليد عن المقاتلة والاعتداء، وكف النفس عن الشر والإثم، وهو حقيقة الصوم وغايته، كما فيه عظيم ثواب الصوم وأنه لله وحده، فهو من عبادات السر التي لا يطلع عليها إلا الله وحده، ولم يعبد به إلا الله، ولم يقع فيه شرك كما وقع في العبادات الأخرى، كما يجزي الله الصائم أجرا لا حد له، إذ هو من الصبر على ترك المباح طاعة لله، كالصبر على قضاء الله وقدره، الذي قال ﷻ فيه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ سورة الزمر، وفيه البشارة بالفرح يوم القيام عند لقاء الله حيث يجد الصائم ثواب صومه يوم القيامة بما لا يخطر على قلبه.

وفي الحديث الثالث بيان وجوب استحضار النية واحتساب الأجر عند الصوم، فلا يكون صوم عادة وحمية، بل صوم عبادة وطاعة وتقوى، كما فيه استحباب قيام ليالي رمضان، وتحري ليلة القدر بإحيائها بالتهجد وصلاة التراويح والقيام، وفيه حكم الناسي في نهار رمضان إذا أكل أو شرب، وأنه لا يفطر بذلك ولا قضاء عليه، بخلاف العامد فعليه الإثم وقضاء ذلك اليوم، فإن كان انتهك حرمة الشهر بالجماع في نهار رمضان عامدا وهو صائم فعليه مع القضاء كفارة صيام شهرين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وفيه أن من لم يدع قول الزور والباطل والعمل به من المحرمات القولية والفعلية، فلا حاجة لله في أن يترك طعامه وشرابه المباح، فالغاية من الصوم تحقيق التقوى بترك المباحات اتقاء للمحرمات.

المجلس الثاني عشر

الحج وحقيقته التوجه إلى الله على خُطا إبراهيم عليه السلام حنيفا مخلصا لله وصفة حجة النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩] **وقال** ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضا أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ ذلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الْحَجِّ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[سورة البقرة]، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ

مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعامُ إِلاَّ مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوافَّ فَإِذا وَجَبَتْ جُنُوبُها فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذلِكَ سَخَّرْناها لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى مَا هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِماحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا

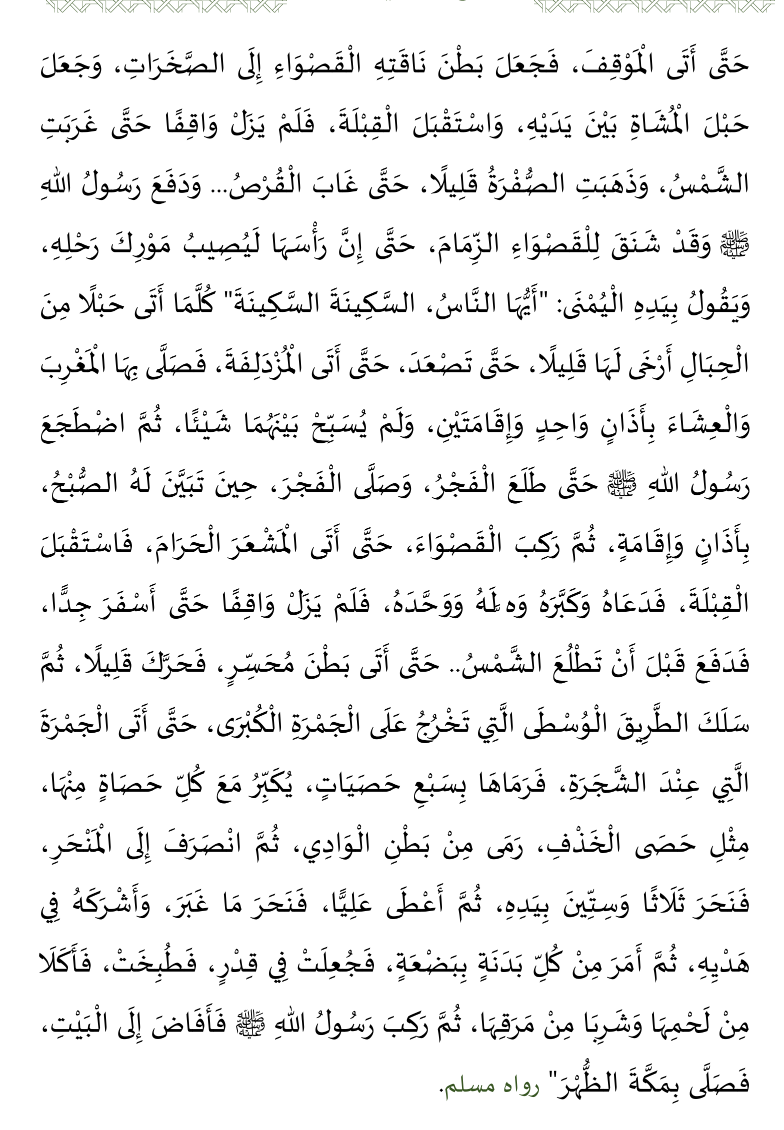
بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ سورة المائدة، وقال ﷻ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ مَا يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا﴾ سورة المائدة.

١) عنْ أبي هُرَيْرةَ رضي الله عنه، قالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ اللَّه قَدْ فَرضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فحُجُّوا" فقَالَ رجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رسولَ اللَّهِ؟ فَسَكتَ، حَتَّى قَالَها ثَلاثًا. فَقَال رَسُولُ اللِّه ﷺ: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوجَبت وَلَمَا استَطَعْتُمْ" ثُمَّ قَالَ: "ذَرُوني مَا تركْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ منْ كانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِم عَلى أَنْبِيائِهِمْ، فَإذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتوا مِنْهُ مَا استطَعْتُم، وَإِذا نَهَيتُكُم عَن شَيءٍ فَدعُوهُ " رواه مسلم.

٢) عن جابر بن عبدالله وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ له قَالَ: " تَمَتَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، وَأَهْدَى، فَسَاقَ مَعَهُ الْهَدْيَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَهَلَّ بِالْعُمْرَةِ، ثُمَّ أَهَلَّ بِالْحَجِّ، وَتَمَتَّعَ النَّاسُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، فَكَانَ

مِنَ النَّاسِ مَنْ أَهْدَى فَسَاقَ الْهَدْيَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُهْدِ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ قَالَ لِلنَّاسِ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَهْدَى، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَجَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَهْدَى، فَلْيَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَلْيُقَصِّرْ وَلْيَحْلِلْ، ثُمَّ لِيُهِلَّ بِالْحَجِّ وَلْيُهْدِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا، فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ" وَطَافَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ، فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ أَوَّلَ شَيْءٍ، ثُمَّ خَبَّ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ السَّبْعِ، وَمَشَى أَرْبَعَةَ أَطْوَافٍ، ثُمَّ رَكَعَ، حِينَ قَضَى طَوَافَهُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَانْصَرَفَ، فَأَتَى الصَّفَا فَطَافَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَةَ أَطْوَافٍ، ثُمَّ لَمْ يَحْلِلْ مِنْ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ، وَنَحَرَ هَدْيَهُ يَوْمَ النَّحْرِ، وَأَفَاضَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ حَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرُمَ مِنْهُ، وَفَعَلَ، مِثْلَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَنْ أَهْدَى وَسَاقَ الْهَدْيَ مِنَ النَّاس" متفق عليه.

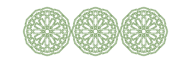
٣) وزاد جابر ﵁: "قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ.. فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ... حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ... ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،



حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ... وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: "أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ" كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.. حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ" رواه مسلم.

۞شرح المجلس۞

الحج خامس أركان الإسلام، وفرائضه العظام، وهو القصد إلى البيت الحرام، بأيام الحج لأداء مناسكه، وهو واجب مرة واحدة، لمن استطاع إليه سبيلا، وحقيقته التوجه إلى الله وإخلاص القصد له بالسير إليه، والتجرد من الدنيا ابتغاء وجهه، واتباعا لملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، واستجابة لأذانه بالحج، على النحو الذي ورد في صفة حج النبي ﷺ كما قال: "خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ" رواه أحمد ومسلم والنسائي.



المجلس الثالث عشر

فضل الجهاد وحقيقته وغايته وشهادة القتل وأسبابها وأحكامها:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[الأنفال:٧٤] **وقال** ﷻ: ﴿وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٤١] **وقال** ﷻ: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ سورة البقرة، **وقال** ﷻ: ﴿وَقاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴿١٩٣﴾﴾ سورة البقرة، **وقال** ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ سورة الحج، **وقال** ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ سورة الحديد.

١) **عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه، **قال: أَتى رَجُلٌ رَسُولَ الله** ﷺ، **فقال: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: "ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ"** متفق عليه.

٢) عنْ أَبي مُوسى الأشعري ﵁، أَنَّ أعْرَابيًّا أَتى النبيَّ ﷺ فَقَال: يَا رسولَ اللَّه، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنمِ، والرَّجُلُ يُقَاتِلُ ليُذْكَرَ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ ليُرى مكانُه؟ وفي روايةٍ: يُقاتلُ شَجاعَةً ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً. وفي روايةٍ: ويُقاتلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيل اللَّهِ؟ فَقَالَ رسولُ اللّه ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لتكُونَ كَلِمَةُ اللَّه هِيَ العُلْيا، فَهُوَ في سبيلِ اللَّهِ" متفق عليه.

٣) عن عبد الله بن عمرو ﵁،- وكان بينه وبين عَنْبَسَةَ بن أَبِي سُفيانَ أمير الطائف لمُعاوية نزاع على أرضه - وتَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ، فَرَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَوَعَظَهُ خَالِدٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" متفق عليه واللفظ لمسلم، وروى سعيد بن زيد وزاد: "وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" رواه أبو داود والترمذي وصححه.

۞شرح المجلس۞

الجهاد في سبيل الله أوجب فرائض الإسلام بعد الأركان الخمسة، ولم يأت في القرآن الثناء على شيء كما جاء في شأن الجهاد والأمر به، والوعيد بحق من تركه إذا كان فرض عين، وبيان فضل من قام به إذا كان فرض كفاية، إذا لا حفظ لدار الإسلام، وإقامة شعائر الأحكام، وتحقيق العدل والأمن والسلام، إلا بالجهاد في سبيل الله دفعا وفتحا.

وفي الحديث الأول بيان فضله، وأن أفضل المؤمنين بعد تساويهم في تحقق الإيمان، وأداء الأركان:

أ- أهل الجهاد والقائمون به، فيدفعون عن الأمة شر أعدائها.

ب- والعبّاد الزهاد الذين كفوا شرهم عن الأمة، إذا لم يكن الجهاد فرض عين، فإن لم ينصروها لم يضروها، ولم يخذلوها، وكانت عبادتهم ودعاؤهم من أسباب النصر والفتح على المجاهدين.

وفي الحديث الثاني بيان حقيقة الجهاد في سبيل الله وغايته، وأنه إعلاء كلمة الله، وذلك بالقيام بأمره في كل قتال مشروع طاعة له ورجاء ثوابه، وأن من قاتل للغنيمة، أو قاتل حمية، أو غضبا لنفسه وانتقاما من خصمه، أو رياء لتذكر شجاعته، فليس في سبيل الله، فإن لم يرجع بوزر، فلن يرجع بأجر، فلم يشرع الجهاد للقتل وإزهاق الأنفس، بل شرع لإقامة العدل والقسط ورفع الظلم.

وفي الحديث الثالث بيان أن سبيل الله وإعلاء كلمة الله يعم كل قتال مأذون به شرعا، ويشمل كل قتال مشروع رفعا لظلم، أو دفعا عن حق، إذ هذا مما شرعه الله، كالقتال دون المال، أو الدين، أو النفس، أو العرض، ودون كل حق خاص أو عام، كما في حديث: "نِعْمَ الْمَيْتَةُ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ دُونَ حَقِّهِ" رواه أحمد، وسواء كان القتال دفعا لعدو كافر، أو سلطان جائر، أو عاد باغ، أو خارجي طاغ، فلا فرق، كما فعل عبدالله بن عمرو رضي الله عنه مع عنبسة وهو أمير، واحتج بالحديث، والصحابي أعلم بما

روى، وكما في حديث "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله".

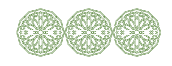
كما في الحديث بيان أسباب الشهادة بالقتل، وأن كل مقتول في قتال مأذون له فيه شرعا هو شهيد، وقاتله ظالم آثم، وحكمه حكم شهيد المعركة، على الصحيح، لا يغسل ولا يصلى عليه؛ لأن الغسل تطهير، وهو طاهر لا يحتاج لغسل، والصلاة عليه شفاعة له، وهو لا يحتاج لشفاعة المصلين ودعائهم له، لأنه هو شهيد وشفيع لغيره يوم القيامة، فهو شهيد في حكم الدنيا بترك غسله والصلاة عليه، وشهيد في حكم الآخرة بثبوت أجر الشهداء له، بخلاف أسباب الشهادة الأخرى بغير القتال: كالمطعون والمبطون والحريق والغريق والهدم، فيثبت لهم وصف الشهادة الدنيوي دون أحكامها، فيغسلون ويصلى عليهم، ويثبت لهم أجر الشهادة الأخروي، وإن كان فضل شهيد المعركة في حرب العدو الكافر، وشهيد السلطان الجائر لا يعدلهما شيء، فمنازل الشهداء تتفاوت بحسب أسباب الشهادة، كما ورد في النصوص.

وأما تبويب البخاري باب: (لا يقال فلان شهيد) أي: لا يقال له شهيد على سبيل القطع والتألي على الله، بل على سبيل الرجاء له، وبحسب حكم الظاهر، كما قال ابن حجر في الفتح، والصحيح أنه لا يقال فلان شهيد قبل ثبوت أسباب الشهادة له، ووفاته بسببها، كما في الحديث الذي أورده البخاري تحت هذه الترجمة، حيث قتل الرجل نفسه بعد أن اشتدت عليه جراحه في آخر المعركة، فكان حكم الصحابة له بالشهادة قبل ثبوت



سببها له، والحكم بالشهادة وصف يطلق على قتلى بأعيانهم، يترتب عليه أحكام فقهية عملية تخصهم، كعدم غسلهم والصلاة عليهم.

ويأخذ أجر المجاهدين والشهداء من أعانهم، ومن جهزهم، ومن خلفهم بأهلهم خيرا، ومن نوى الجهاد معهم ولم ييسره الله له، كما في حديث خالد بن زيد ﵁ في الصحيحين: "مَنْ جَهّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ الله فقد غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا في أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا"، وحديث سهل بن حنيف في مسلم: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ"، وحديث أنس ﵁ في مسلم: "مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ "، وحديث أنس ﵁ في البخاري وجابر ﵁ عند مسلم: "إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم أو شركوكم في الأجر، حبسهم المرض أو العذر".



المجلس الرابع عشر

في الإمامة وحقوقها وواجباتها وطبيعة العلاقة بين الأمة والسلطة ومسئولية كل منهما:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص]، **وقال** ﷻ: ﴿وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾[ق:٤٥] ، **وقال** ﷻ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾[الغاشية]، **وقال** ﷻ: ﴿لَا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[البقرة]، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ﴾[الفتح:١٠] ، **وقال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١] ، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١﴾[النساء]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ ۝٤٩ أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾[المائدة]، وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، وقال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧ وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٤٨ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٥٠ إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ ۝٥٢ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ۝٥٣ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ۝٥٤ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ النور، وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ الحج ، وقال ﷻ: ﴿وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ الشورى، وقال ﷻ: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران، وقال ﷻ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ هود، وقال ﷻ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ آل عمران، وقال ﷻ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ المائدة، وقال ﷻ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ الشورى.

١) عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: "بَايَعْنَا رَسُول اللَّه ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ، والمَنْشَطِ والمكْرَهِ، وَعلى أَثَرَةٍ عَليْنَا، وعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدكُمْ مِنَ اللَّه تعالَى فِيهِ بُرهانٌ، وَعَلَى أَنْ نقوم أو نَقُولَ بالحقِّ أينَما كُنَّا، لاَ نخافُ في اللَّه لَوْمةَ لائمٍ" متفقٌ عليه.

٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ" متفق عليه.

٣) عن أم الحصين رضي الله عنها، أنها سمعت النبي ﷺ يقول وهو يخطب في عرفات في حجة الوداع: "إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ:

أَسْوَدُ - يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا" رواه مسلم، وأحمد ولفظه "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "وفي لفظ "فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا مَا قَادَكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى".

۞شرح المجلس۞

في الحديث الأول أخذ النبي ﷺ البيعة على الأنصاريوم العقبة قبل الهجرة على أصول دعوته، وأسس دولته التي بايعوه على إقامتها معه، لتأكيد طبيعة العلاقة بين الأمة والإمام، وأنها تعاقدية، بالإيمان الاختياري به كنبي ﷺ كما في بيعة العقبة الأولى، ثم بالبيعة الاختيارية له كإمام وقائد سياسي في العقبة الثانية،

وأول أصولها: السمع والطاعة، إذ لا قيام للدولة إلا بالسلطة والإمامة، ولا تقوم السلطة ولا يستقيم أمرها إلا بالسمع وهو الاستجابة لنصرتها، والطاعة وهو تنفيذ أمرها، وهي طاعة اختيارية تتم بالبيعة الاختيارية، كما يفيده لفظ الطاعة الذي ينافي الإكراه، كما في قوله تعالى: ﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[فصلت:١١]، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[آل عمران:٨٣]، فأفاد عقد البيعة أصل الاختيار للإمام ابتداءً بلا إكراه ولا إجبار، وأفادت البيعة على الطاعة له بعد اختياره، بأن الطاعة فعل اختياري يلتزم به المسلمون بلا إكراه ولا إجبار، بموجب العقد الواجب شرعا الالتزام به، إذ لا تعارض بين الاختيار والرضا عند الدخول في عقد الإيمان، وعقد البيعة، وبين وجوب الالتزام بمقتضياتهما.

والطاعة للسلطة هنا مقيدة بالمعروف فقط، كما في الصحيح: "إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ". فلا طاعة للسلطة فيما ليس مشروعا، كما في الصحيح: "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ".

ثم نص على الأصل الثاني: وهو أن تكون النصرة والطاعة في كل الأحوال، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فلا يستقيم شأن الدولة والسلطة، ولا تستطيع القيام بمسئولياتها، إلا باستجابة الأمة لها ونصرتها وطاعتها في كل الظروف، والمَكْرَه هنا ليس هو الإكراه الذي ينافي الاختيار، بل هو المكروه الذي ينافي المحبوب والمرغوب، كالحرب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[البقرة:٢١٦].

ثم نص على الأثرة وهو حق الإمام في التفضيل وتخصيص من يراه من الأكفاء الأمناء واختيارهم ليتولوا المسئولية معه، كالقضاة والولاة والقادة والوزراء، وهي أثرة مشروعة يحق للسلطة ممارستها، كما في قول أخوة يوسف ﴿تَاللّه لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا﴾[يوسف:٩١]، وهو اختياره وتخصيصه بالاصطفاء والملك والنبوة، فبايع النبي ﷺ أصحابه عليها؛ لما قد يخشى فيها من تشاح وتنافس بين الأكفاء المتساويين حين يتم اختيار أحدهم للولاية، فأوجب الشارع الصبر على مثل هذه الأثرة بالحق، التي لا بد للسلطة منها، وهي من حقوقها وصلاحياتها.

ثم نص على الأصل الثالث: وهو ألا ينازعوا الأمر والإمارة أهلها، وأهلها هم:

أولا: الأمة حتى تختار بالشورى والرضا إمامها ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]، وكما قال عمر رضي الله عنه: "مَنْ بَايَعَ رَجُلًا دُون

شُورَى المُسْلِمين فَلا بَيعةَ لَهُ". فلا تنازُع في الأمر في الإسلام ولا منازعة، كما هو شأن أهل الجاهلية.

ثم أهله ثانيا: من اختارتهم الأمة للإمامة ممن هو أهل لها، فلا ينازع بعد الاختيار بالشورى والرضا، ولا يُفتأت على الأمة قبل الاختيار ولا بعده، حتى تقرر هي خلعه عند وجود أسبابه.

ثم أهله ثالثا: الإمام مادامت أهليته كاملة، ومادام أهلا للإمامة، حتى يخرج عن الأهلية بجنون أو كفر أو فسق أو عجز، أو حين يَظهر كفرٌ بواح يناقض الإسلام، وينافي شروط عقد البيعة التي تقتضي إقامة حكم الله ورسوله.

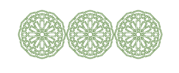
ثم نص على الأصل الرابع: وهو قيام الأمة بالحق، وقولها بالحق، بموجب عقد البيعة بعد اختيار السلطة، لا تخاف لومة لائم، فلا ينتهي دور الأمة عند اختيار الإمام، بل تقوم هي بالحق، وتكون رقيبا على السلطة، تقيم أودها، وتحاسبها، كما قال أبو بكر ﵁: "وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي".

وفي الحديث الثاني بيان الغاية من اختيار الإمام ووجوب إقامة السلطة، وهو أنها جنة ووقاية وحماية للأمة، تقاتل الأمة معها العدو الخارجي، وتحمي بيضتها، وتحوطها بكل أسباب الحماية، وحمايةً كذلك للأفراد من العدوان الداخلي عليهم، والتظالم فيما بينهم، وإقامة العدل فيهم، فإذا قامت السلطة بتحقيق الأمن الداخلي والخارجي، وبسطت العدل في رعيتها، وأمرت بتقوى الله بإقامة أحكامه في الأرض، فهي السلطة الشرعية الواجب طاعتها ونصرتها، فإن عجزت عن مسئوليتها أو تخلت عنها، فشاع

الخوف بدل الأمن، والظلم بدل العدل، وتعطلت أحكام الله، فقد فقدت شرعية وجودها، ووجب على الأمة تغييرها.

وفي الحديث الثالث بيان وجوب الطاعة للسلطة دون النظر لحسب ونسب من يتولاها، إذا الغاية من السلطة إقامة حكم الله والعدل، فمن أقامه فالواجب نصرته وطاعته إقامةً لما أمر الله بالتعاون على إقامته، وفيه بيان المساواة بين المؤمنين دون نظر لصورهم وألوانهم وقومياتهم، وأهليتهم لتولي السلطة فيهم، لا كحال أهل الجاهلية الذين لا يرون الطاعة إلا لساداتهم وأشرافهم، دون ضعفائهم ومواليهم، فأمر النبي ﷺ ابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة، وأمر زيد بن حارثة، وابنه أسامة رضي الله عنهما؛ لبيان أن المؤمنين جميعا أخوة، لا فرق بين قرشي وحبشي.

وجعل القيد والشرط لوجوب الطاعة "مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ" و "مَا قَادَكُمْ بِكِتَابِ اللهِ" فهو الغاية من إقامة الأئمة ووجوب طاعتهم في الإسلام، وهو أن يقيموا كتاب الله والعدل في الأمة، وهذا شرط بالنظر إلى مدى قيامهم بمسئوليتهم تجاه رعيتهم، وأما بالنظر إلى توفر أهليتهم وعدالتهم في أنفسهم فقيده بحديث "مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاَةَ" رواه مسلم، وبالنظر إلى ما يصدر عنهم من أمر فقيده "إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ" رواه مسلم، وبالنظر إلى عدم وجود ما يناقض ذلك كله فقيده "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا" متفق عليه.



المجلس الخامس عشر

في المسئولية وحقيقتها ورعاية حقوقها وأداء الأمانة والنصيحة فيها:

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[النحل]، وقال ﷻ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥]،وقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾[التوبة]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنفال].

١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: "كُلُّكم راعٍ، وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعِيتِهِ: فالإمامُ راعٍ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهلِهِ وَمسؤولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجها وَمسؤولةٌ عَنْ رعِيَّتِها، والخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيتِهِ، وكُلُّكُم رَاعٍ ومسؤُولٌ عَنْ رعِيَّتِهِ" متفق عليه.

٢) عن مَعْقِل بن يَسَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: "مَا مِن عبدٍ يسترعِيهِ اللَّه رعيَّةً، يَمُوتُ يومَ يَموتُ وهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ، [أو فَلَم يَحُطهَا بِنُصْحهِ] إلاَّ حَرَّمَ اللَّه علَيهِ الجَنَّةَ" متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: "مَا مِن أَمِيرٍ يَلِي أُمورَ المُسلِمينَ، ثُمَّ لا يَجهَدُ لَهُم، ويَنْصحُ لهُم، إلاَّ لَم يَدخُل مَعَهُمُ الجَنَّةَ".

٣) عن عائشة ﵂، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ مَنْ وَلِي مِنْ أمْرِ أُمتي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارفُقْ بِهِ" رواه مسلم.

۞شرح المجلس۞

في الحديث الأول تأكيد لطبيعة المجتمع الإسلامي، وأنه قائم على الإحساس بالمسئولية في كل دوائرها، العامة والخاصة، من الدولة والأمة، إلى الفرد والأسرة، وتكليف كل إنسان بالقيام برعاية شئون من تحت ولايته، عامة كانت ولايته أو خاصة، وأن كل إنسان راع ومسئول عن رعيته، وفيه تساوي الجميع في الأهلية وتحمل المسئولية، لا فرق بين أمير ومأمور، ورجل وامرأة، وخادم ومخدوم، فالجميع مسئولون عما يؤتمنون عليه، مسئولية دنيوية بمؤاخذتهم إذا فرطوا، ومحاسبتهم إذا قصروا، ومسئولية أخروية يوم القيامة.

وفيه أن كل من له ولاية هو راع لها، وفي الوقت ذاته مسئول أمام من استرعاه عليها، فالإمام راع لشئون الأمة، وهو مسئول أمام من استرعوه عليها، وهم من عقدوا له عقد البيعة من أهل الحل والعقد، نيابة عن الأمة، كوكيل عنها، في رعاية شئونها، فإذا فرط أو عجز، وجب عليهم

محاسبته وتقويمه، وإن اقتضى الأمر عزله عزلوه، إذ ولاية الأمة على نفسها أسبق وجودا من ولاية الإمام عليها، وهي التي تختاره لرعاية شئونها بموجب تلك الولاية الثابتة بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[التوبة:٧١]، وقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة:٥٥]؛ ولهذا جعل لهم حق المراقبة والمساءلة ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]، وكما قال أبو بكر رضي الله عنه: "وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي".

والراعي هو القائم على رعاية الأمر بحفظه وحياطته، وحسن التعهد له، والسهر عليه.

وأعظم المسئوليات: مسئولية الإمامة العامة على الأمة، ورعايتها لها، بالقيام بكل ما أوجبه الله عليها تجاههم، بأداء حقوقهم، من العدل فيهم، والحكم بما أنزل الله بينهم، وتولية الأكفاء الأمناء عليهم، كما خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾ [المائدة:٥٨]، وأعظم الأمانات هي أمانة السلطة والحكم على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، كما في قوله ﷺ عن الولاية والإمارة في صحيح مسلم: "يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَ"، وأعظم خيانة للأمانة وتفريط فيها تولية من ليس أهلا للولاية، كما في البخاري: "إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"، قَيل: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ ﷺ: "إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ "!

كما في الحديث مسئولية الزوج تجاه أهله، بأداء حقوقهم، ورعاية شئونهم، وكذا الزوجة في بيت زوجها بحفظه وحياطته في ولده وماله وعرضه، وكذا الخادم فيما أوكل إليه من خدمة في بيت مخدومه، بالقيام على أدائها على أحسن وأكمل وجه، وكذا كل موظف وعامل هو راع لما أوكل إليه من عمل، وكذلك هو مسئول عنه في الدنيا والآخرة.

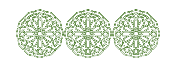
وفي الحديث الثاني بيان وجوب النصيحة على كل من ولي مسئولية، والنصيحة هنا هي الإخلاص وبذل الجهد والطاقة في رعاية شئونهم، وأداء أماناتهم، والعدل بينهم، على أكمل وجه، كما قالت أخت موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص:١٢]، وكقول إخوة يوسف عليه السلام: ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[يوسف:١١]، فالنصح هنا الاجتهاد في القيام على رعاية حقوق الطفل، وحفظه على أكمل وجه، وكما في حديث تميم الداري رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "للَّه وَلِكِتَابِهِ ولِرسُولِهِ وَلأَئمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"، وكما في حديث جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه في الصحيحين قال: "بَايَعْتُ رَسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم عَلى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكلِّ مُسْلِمٍ".

فالنصح هنا هو الإخلاص والصدق في القيام بأداء حقوق الله عز وجل التي أوجبها على المؤمنين على أكمل وجه، والاجتهاد فيها غاية الوسع: بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له، وأداء حقوق كتابه: بالعمل بأحكامه، والوقوف عند حدوده، والاهتداء به، وتلاوته وتدبره، وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم:

بطاعته، واتباعه، والاقتداء به. وحقوق الأئمة: بإعانتهم ونصرتهم بالمعروف، ومنعهم من الظلم. وحقوق عامة المسلمين: بنصرة مظلومهم، وإغاثة ملهوفهم، وإعانة ضعيفهم، وإرشاد ضالهم، ومواساة فقيرهم.

وقد قابل الحديث النصيحة بالغش لهم، وتوعد الله ﷻ كل من ولي ولاية فغش فيها، وفرط في أداء حقوقها، ولم ينصح ويجتهد في أدائها، بالنار، وحرم عليه الجنة، وهذا من أشد أنواع الوعيد، إذ لا يحرم الله ﷻ الجنة إلا على من كفر وأشرك به!

وفي الحديث الثالث بيان وجوب الرفق بالرعية على كل من تولى ولاية، وعدم تعنيفهم أو تكليفهم ما يشق عليهم، أو الاحتجاب عنهم، أو منعهم حقوقهم، أو إثارة الفتن بينهم، وفيه دعاء من النبي ﷺ لمن رفق بأمته من الولاة أن يرفق الله به، ومن شق عليهم أن يشق الله عليه، ودعاؤه ﷺ مستجاب في الدنيا والآخرة، وفيه بيان عظيم رحمته ﷺ بأمته، وحبه لها، وشفقته عليها، ووصيته بها، في حياته وبعد وفاته.



المجلس السادس عشر

في الخلافة وحقيقتها وأنها رئاسة عامة على الأمة ومعالمها وأحكامها:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الأعراف:٢٩]، **وقال** ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النور]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[ص]، **وقال** ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة]، **وقال** ﷻ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧] ، **وقال** ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء]، **وقال** ﷻ: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[هود:٩٧] ، **وقال** ﷻ: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[الشعراء]، **وقال** ﷻ: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾[هود]

١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ" قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: "فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ" متفق عليه.

٢) عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، فمَنْ يَعِش مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ" رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، وهذا لفظ ابن ماجه وأحمد، ولفظ أبي داود: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"

٣) عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ"، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: "قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: "نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ" متفق عليه.

وفي لفظ لمسلم: "يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي"

۞شرح المجلس۞

في هذه الأحاديث بيان أن ملوك بني إسرائيل كانوا أنبياء يسوسونهم بالوحي، وأنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ يسوس أمته، وإنما ستكون خلافة، تختارها الأمة بالشورى والرضا، لتقيم فيهم الكتاب وأحكامه، فالخلافة هي نظام الحكم في الإسلام بعد النبوة، وقد بين النبي ﷺ في أحاديث متواترة تواترا معنويا معالم هذه الخلافة، وأحكامها التفصيلية، وأنها رئاسة عامة على الأمة، تقوم على:

١- اجتماع الأمة ووحدتها، حتى جعل النبي ﷺ توحيدها السياسي الأصل الثاني بعد توحيدها الإيماني، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ ؓ، في صحيح مسلم: "إِنَّ اللّٰهَ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"، وحتى جعل العصمة من الفتن العامة والمخرج منها "تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"، وجماعتهم هي الأمة كلها أو أكثرها، إذا اجتمعت في دولة واحدة، كما هو حال الأمة منذ قيام الخلافة، حتى سقوطها، فإذا افترقت فهي الفتنة العامة "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا"، حتى تجتمع الأمة مرة أخرى.

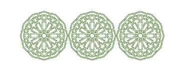
٢- ووحدة الدولة والسلطة، فلا تعدد فيها، ولا تنازع، ولهذا أبطل تعدد البيعات فقال ﷺ: "أوفوا بيعة الأول فالأول" وكما في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ "إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا".

٣- والبيعة بالشورى والرضا، فلا إمامة شرعية، بلا عقد بيعة، تعقده الأمة وأهل الحل والعقد فيها للإمام، بالرضا والاختيار، بلا إكراه ولا إجبار، كما هي سنة النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية، ثم سنن الخلفاء الراشدين من بعده، كما قال عمر ؓ: "الإِمَارَةُ شُورَى بَينَ المُسلِمين"؛ ولهذا جعل النبي ﷺ الخلافة الراشدة المعيار الذي يُحتكم إليه، وحدد مدتها - كما في حديث سفينة عند أبي داوود – بقوله: "خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً"، بينما أثبت استمرار الخلافة بعد ذلك كنظام سياسي، وأن

الخلفاء بعده يكثرون فقال ﷺ: "فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ"، وقال في الخير الذي فيه دخن "قَوْمٌ [أئمة] يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"، وكما في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، عن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ".

٤- ولزوم سنن النبوة والخلافة الراشدة في سياسة شئون الأمة، كما قال ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ".

٥- ورد وإبطال المحدثات التي تخالف سننهم كالملك العضوض والجبري، كما في حديث حُذَيْفَةُ - في مسند أحمد بإسناد صحيح - قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ"



المجلس السابع عشر

في حقوق الأمة وولايتها على أرضها وعصمة دمائها وتحريم الخروج عليها:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحًا وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت]، **وقال** ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا﴾[آل عمران]، **وقال** ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء]، **وقال** ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠] ، **وقال** ﷻ: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾[الحجرات]، **وقال** ﷻ: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِن كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فِيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء].

١) عَنْ ثَوْبَان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إن الله زوى لِيَ الأرض، فرأيتُ مَشَارِقَها ومَغَارِبَها، وإن مُلْكَ أُمتي سيبلُغُ ما زُوِيَ لي منها، وأُعطِيتُ الكنزَين الأحمر والأبيض، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يُهْلِكَها بسَنَةٍ بعاقَّة، ولا يُسلِّطَ عليهم عدوًا مِن سوى أنفسِهم فيستبيحَ بيضتَهم، وإن ربي قالَ: يا محمدُ، إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُ، ولا أُهلِكُهم بسنةٍ بعامةٍ، ولا أسلِّطُ عليهم عَدُوًا مِن سوى أنفسِهم فيستبيحَ بَيْضَتَهم، ولو اجتمَعَ عليهم مَنْ بأقطارها، حتى يكونَ بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضًا، وإنما أخافُ على أُمَّتي الأئمةَ المُضِلَّينَ، فإذا وُضِعَ السيفُ في أُمتي لم يُرفعْ عنها إلى يومِ القيامةِ، ولا تقومُ السَّاعةُ حتى تَلْحَقَ قبائلُ مِن أُمتي بالمشركينَ، وحتى تَعبُدَ قبائلُ مِن أُمَّتي الأوثانَ، وإنه سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون ثلاثونَ، كلُّهُمْ يزعُم أنه نبيّ، وأنا خَاتَمُ النبيين لا نَبيَّ بعدي، ولا تزالُ طائفةٌ مِنْ أمَّتي على الحق ظاهرينَ، لا يَضُرُّهم مَنْ خالفهُمْ حتى يأتيَ أمرُ اللهِ" رواه مسلم مختصرا وأبو داود واللفظ له.

٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ

جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ" رواه مسلم.

٣) عن الحارث الأشعري ﵁، عن النبي ﷺ قال: "وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ" رواه الترمذي وأحمد.

❁شرح المجلس❁

في الحديث الأول بيان ولاية الأمة على أرضها، وأن الله جعل دار الإسلام وسلطانها على امتداد الأرض شرقا وغربا، التي استخلف المؤمنين فيها، ملكا للأمة ووقفا عليها، وأضافها لهم إضافة ملك واستحقاق، كما قال عمر ﵁ في صحيح البخاري: "إِنَّهَا لَبِلَادُهُمْ عَلَيْهَا قَاتَلُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَعَلَيْهَا أَسْلَمُوا، ولَوْلَا إبلُ الصَّدَقَةِ مَا حَمَيْتُ مِنْ بِلَادِهِمْ شِبْرًا". فلا يتصرف فيها أحد إلا بإذنهم، ولا يحمى منها شيء إلا لمصلحتهم العامة، ولا يستبد عليهم فيها بسلطانهم، ولا يستأثر منها بشيء دونهم، فمن فعل ذلك فهو غاصب آثم، ولا يترتب على اغتصابه أثر، كما في الصحيح: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" و"لَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ". وفيه مكانة هذه الأمة

المرحومة المعصومة عند الله، وتعظيم النبي ﷺ لشأنها حتى سأل الله لها في الدنيا أن يحفظها من عدوها فلا يستأصلها، ولا يقضي عليها، وادخر لها في الآخرة شفاعته لها، فلا دعوة له يوم القيامة إلا "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي"، وقد دعا ﷺ ربه فوعده الله في الدنيا فقال -كما في الصحيح-: "إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ"، ويوم القيامة يقول ﷻ له: "سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ"، وقال ﷺ -كما في الصحيحين-: "لكل نبي دعوة مستجابة، وإني قد ادخرت دعوتي، شفاعة لأمتي يوم القيامة"، وقال ﷺ: "إِنِّي ادَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، حتى يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وخير.

وفيه التحذير من استباحة المسلمين دماء بعضهم، وسبي بعضهم، كما قال ﷺ في حجة الوداع: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ" قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلِّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ، فلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"، كما فيه التحذير من الأئمة المضلين وجورهم وظلمهم، والتحذير من أدعياء النبوة، فإنه لا نبي بعده ﷺ، ومن الكذابين الذي سيضلون أمته، وفيه التحذير من عودة الشرك وعبادة الأوثان، وفيه البشارة بالطائفة المنصورة من أمته التي لا تزال على الحق، فلا تطمس معالم الحق بالأئمة المضلين، بل يظل من أمته من يصدعون بالحق، ويقومون به، ويدعون إليه.

وفي الحديث الثاني الاعتصام بالجماعة، وهي الأمة حال اجتماعها، فهي عصمة من الفتن العامة، وفيه تحريم الخروج على الأمة ومفارقتها، واستحلال دمائها، وفيه أن ذمتها واحدة، وأن ذمة الأمة تعم برها وفاجرها وأهل ذمتها، فكلهم لهم ذمة الله ورسوله، وهم على حرمتهم في كل الأحوال، بقيت الدول أو تغيرت، فالحكم منوط بالأمة نفسها "مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي"، وأهل ذمتهم منهم، وهم من الأمة وجماعتها بمفهومها السياسي، وهم كل مواطني أرض الإسلام، كقوله ﷺ: "وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ"، وفيه تحريم كل صور القتال لعصبية وحزبية وقومية ووطنية وقبلية، فكلها جاهلية تتعارض مع وحدة الأمة وأخوة المؤمنين.

وفي الحديث الثالث وجوب الجماعة وتحريم الافتراق عن الأمة ووحدتها، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: ١٠٣]، ووجوب الإمامة الشرعية والطاعة لها بالمعروف، وحرمة الخروج عليها وتفريق كلمة الأمة كما في حديث عَرْفَجَةَ رضي الله عنه، في صحيح مسلم، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاقتلوه كَائِنًا مَنْ كَانَ" وفي لفظ: "مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ"، ووجوب الجهاد الذي يحمي الأمة ودينها وأرضها، وتحريم الدعوة إلى غير الإسلام، والانتماء لغير اسم المسلمين والمؤمنين، إلا على سبيل التعارف، لا على البراء والولاء، الذي جعله الله على الإسلام وحده.

المجلس الثامن عشر

في وجوب الأمر بالمعروف ودرجاته وأحكامه:

قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى مَا أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[لقمان]، **وقال** ﷻ: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[النحل]، **وقال** ﷻ: ﴿وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى مَا أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾[هود:٨٨] ، **وقال** ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[البقرة].

١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه رأى رجلا ينكر على عبد الملك بن مروان يوم الجمعة فقال: أما هذا فقد أدى الذي عليه، سمِعْتُ رسُولَ ﷺ يقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكرًا فَلْيغيّرْهُ بِيَدهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبهِ وَذَلَكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ" رواه مسلم.

٢) عن ابنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "مَا مِنَ نَبِيٍّ بعَثَهُ اللَّه فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَه مِن أُمَّتِهِ حوارِيُّون وأَصْحَابٌ يَأْخذون بِسُنَّتِهِ ويقْتدُون بأَمْرِه، ثُمَّ إِنَّها تَخْلُفُ مِنْ بعْدِهمْ خُلُوفٌ يقُولُون مَالاَ يفْعلُونَ، ويفْعَلُون مَالاَ يُؤْمَرون، فَمَنْ جاهدهُم بِيَدهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ

بقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، ومَنْ جَاهَدهُمْ بِلِسانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَلَيس وراءَ ذلِك مِن الإِيمانِ حبَّةُ خرْدلٍ" رواه مسلم، وأحمد وزاد: "خَوَالِفُ أُمَرَاءُ".

٣) عن أُسامة بْنِ زيد ﵄، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: "يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامةِ فَيُلْقَى في النَّار، فَتَنْدلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحا، فَيجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّار فيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَالَكَ؟ أَلَمْ تَكُن تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ" متفق عليه.

۞شرح المجلس۞

في هذه الأحاديث بيان وجوب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بايع النبي ﷺ أصحابه على القيام بها، في بيعة العقبة الثانية "وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ أَوْ نَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ"؛ لعظيم شأنها في إصلاح المجتمع، فهي مهمة الرسل، ومن عزائم شرائعهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧]، وإنما كانت من عزم الأمور؛ لما يتعرض القائم بها من أذى الملأ، كما هو شأن الأنبياء مع كل ملأ من قومهم.

وفي الحديث الأول بيان مراتب تغيير المنكر إذا صدر من الأمراء والرؤساء ولو أمام الملأ إذا أظهروه، وأنه يكون باليد وهي كناية عن القوة التي تحدث

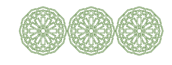
التغيير المطلوب، سواء قوة مادية، أو معنوية سياسية، فإن تعذر تغييره بالقوة، وجب الإنكار بالكلمة بيانا للحق وإبراء للذمة، فإن تعذر لعجز الآمر بالمعروف، أو مراعاة لمصلحة كلية، فينكره بالقلب بالبراءة من المنكر وفاعله، وعدم الرضا به، وعدم الرضا عن فاعله، وهذا أضعف درجات الإيمان الذي هو فعل وقول واعتقاد.

وفي الحديث الثاني تحذير من الخلوف وأمراء الجور الذين لا يقفون عند حدود ما شرع الله من العدل والقسط، ولا يهتدون بهدي رسله، ولا يستنون بسنتهم، في سياسة أممهم، فأمر الشارع بجهادهم باليد وهو التغيير بالقوة، بالأخذ على أيديهم، ومنعهم من الظلم، كما في حديث "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ" رواه أبو داود والترمذي وصححه، وهو أكمل درجات الإيمان في هذا الباب، فإن تعذر لعجز، أو مراعاة لمصلحة كلية، فالواجب جهادهم بالكلمة، بصدعهم بالحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، كما في حديث: " أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حقٍ -أو عَدْلٍ- عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"، فمن قُتل في سبيل ذلك فهو سيد الشهداء، كما في حديث: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ" رواه الحاكم وصححه. وهي الشهادة التي كتبها الله لسيد شباب أهل الجنة الشهيد السعيد الحسين بن علي رضي الله عنهما.

فمن لم يستطع القيام بجهادهم بالكلمة، فالواجب جهادهم بالقلب، بألا يتأثر بهم، ولا بباطلهم، وفتنتهم، فمجاهدة القلب وجهاده: باعتقاده

للحق، ورفضه للمنكر والباطل وفاعليه، وألا يحول عن فطرته الصحيحة بالميل لهم، أو الركون إليهم، وليس وراء ذلك من أعمال الإيمان شيء يستطيع المؤمن فعله من شعائر هذه الفريضة العظيمة.

وفي الحديث الثالث بيان وجوب قيام الآمر بالمعروف بلزوم أمر الله ونهيه، وخطورة أن يكون ممن يأمر الناس بالبر والمعروف وينسى نفسه، أو ينهاهم ثم يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه، وأنه من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، كما جاء في الحديث الصحيح.



المجلس التاسع عشر

حقيقة الظلم وتحريمه، والتحذير من عاقبته، وسنن الله في الظالمين:

قال تعالى: ﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]، وقال ﷻ: ﴿وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴿١١٧﴾﴾ [هود] وقال ﷻ: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ مَا عَلَيْهِم مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴿٤٢﴾﴾ [الشورى].

١) عن أَبِي إدريس الخَوْلاَنيِّ، عن أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِى عَنِ اللَّهِ تبارِكَ وتعالى أنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظالمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُم ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادي كُلُّكُمْ جائعٌ إلاَّ منْ أطعمتُه، فاسْتطْعموني أطعمْكم، يَا عِبَادي كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مِنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُوني أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِركُمْ، وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أتقَى قلبِ رجلٍ واحدٍ مِنْكُمْ مَا زادَ ذلكَ فِي مُلكي شيئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنكُمْ كَانوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شيئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِركُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسأَلُوني فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي

إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّما هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمِدِ اللَّه، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ". قَالَ سعيدٌ: كَانَ أَبُو إدريس إِذَا حدَّثَ بهذا الحديث جَثَا عَلَى رُكبتيه. رواه مسلم.

٢) عن جابر ﷺ، أَن رسولَ اللّه ﷺ قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ منْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حملَهُمْ عَلَى أَنْ سفَكَوا دِماءَهُمْ واسْتَحلُّوا مَحارِمَهُمْ "رواه مسلم.

٣) عن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "إِنَّ اللَّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾" متفق عليه.

۞شرح المجلس۞

الظلم هو التعدي على الغير، والجور عن العدل، وبخس الحق، وتجاوز الحد؛ ولهذا جعل الله الإشراك به ظلما عظيما؛ تنديدا بالشرك والظلم معا، إذ لما كانت العقول تعرف معنى الظلم والعدل، وتدرك بفطرتها حسن العدل، وقبح الظلم وشناعته، وكانت النفوس مجبولة على حب العدل معها، وكره وقوع الظلم عليها، ورفض التعدي على حقوقها، وبخسها أشياءها، قرن الله التوحيد بالعدل، والشرك بالظلم، تعظيما

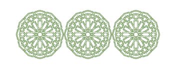
للتوحيد والعدل، وتقبيحا للشرك والظلم معا، وإقامة للحجة على الخلق، بالبيان بالمعاني التي تدركها العقول إدراكا قطعيا لا تكاد تختلف في معرفتها، وتكرهها النفوس كرها لا تكاد تختلف في بغضها، وهو أقطع للحجة، وأوضح للمحجة، ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾[النساء:١٦٥].

وفي الحديث الأول بيان تحريم الله الظلم بكل صوره على نفسه ﷻ، وعلى عباده وفيما بينهم تحريما قطعيا، فلم يأذن الله لهم فيه البتة، ومع أن الظلم مستحيل عليه سبحانه، فهو العدل المطلق، الذي لا يتصور منه وقوع الظلم، إلا إنه أعلَمَ عباده بأنه حرمه على نفسه مع خلقه، مع كونه الملك الذي له عليهم وفيهم التصرف المطلق إيجادا وإنعاما، وإمدادا وإعداما؛ ليكون ذلك أدعى لهم، لاجتناب الظلم فيما بينهم، ثم بين لهم سبحانه بأنهم في حاجة إليه، في هدايتهم، وكفايتهم، فهو سبحانه مصدر العلم والحق والعدل والهداية، وهو مصدر الرزق والعيش والكفاية، فلا حاجة للتظالم فيما بينهم، وأنه سبحانه ليس في حاجة إليهم، بل وجودهم من فيض جوده وقدرته وحكمته، وهو الغني الحميد، وأنه سيجازيهم على أعمالهم، ولن يظلمهم شيئا، فمن وجد خيرا، فليحمد الله الذي هداه وكفاه ووقاه، ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه، حين أعرض ونأى عن الله!

وفي الحديث الثاني بيان سبب تحريم الظلم، وأنه سبب فناء الأمم، وأشار إلى سبب الظلم والتظالم، وهو شح النفوس، وأنانيتها، وحبها ذاتها، وعدم سماحتها في أداء ما عليها، والاكتفاء بما لها، فيدفعها ذلك لأخذ ما ليس

لها، والامتناع عما يجب عليها لغيرها، وهذا هو الظلم، وأن هذا الشح النفسي والمجتمعي وعدم السماحة هو الذي أدى لظلم القوي للضعيف، وأهلك من سبق من الأمم، وما يزال، حين عدا بعضهم على بعض، وظلم بعضهم بعضا، فاقتتلوا وسفك بعضهم دماء بعض، فأفناهم شحهم وظلمهم وتظالمهم؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة، وإن كانت مسلمة"!

وفي الحديث الثالث بيان لسنن الله في الظالمين وأن الله يدعهم إلى أمد ومدة، ليبتليهم، ويبتلي بهم، حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، ولا تكاد هذه السنة في الخلق تتخلف، ومن نظر إلى الطغاة والجبابرة والظالمين في كل عصر ومصر كيف يملي الله لهم، ويمدهم في طغيانهم يعمهون، حتى إذا انتقم منهم جعلهم عبرة وعظة وأحدوثة لكل ذي عقل وبصيرة!



المجلس العشرون

وجوب العدل وحقيقته، ومراتبه وفضل أهله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة]، **وقال** ﷻ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [الشورى].

١) عن عبد اللَّهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: "إنَّ المُقسِطينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلى مَنابِرَ مِنْ نورٍ: الَّذِينَ يعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ، وأَهليهِمْ وما وُلُّوا "رواهُ مسلم.

٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المرْأَةِ المخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ فَقَالُوا: منْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّه ﷺ ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيدٍ، حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالى؟ "ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهلَكَ الَّذينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهمْ كَانُوا إِذا سَرَقَ فِيهِم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ. وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتَ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" متفق عليه.

٣) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵄، أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسول اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غلامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ "أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحلْتَهُ مِثْلَ هَذا؟ "فَقَال: لا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فأَرْجِعْهُ".

وفِي رِوَايَةٍ: قال ﷺ "أَفَعَلْتَ هَذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ "قَالَ: لا، قَالَ: "اتَّقُوا اللَّه وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ" فَرَجَعَ أَبي، فَردَّ تلْكَ الصَّدَقَةَ. وفي لفظ: فَقَالَ: "أَلَهُ إِخْوَةٌ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "أَفَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ؟"، قَالَ: لَا، قَالَ: "فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لَا أَشْهَدُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ". وفي رِوَايَةٍ: فَقَال ﷺ "يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذا؟" قَالَ: نَعَمْ، قَال: "أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذا؟" قَالَ: لا، قالَ: "فلا تُشْهِدْني إِذًا، فَإِنِّي لا أَشْهَدُ عَلى جور"، وفي رواية ثُمَّ قَالَ: "أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ "قَالَ: بَلَى، قَالَ "فلا إِذًا" متفق عليه.

۞شرح المجلس۞

العدل هو الحق القويم، والأمر المستقيم، الذي لا ميل فيه، وهو ضد الجور والحيف والظلم، وبه أرسل الله الرسل، وله أنزل الكتب ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥]، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[الأعراف:٢٩]، وقد أوجب الله العدل مطلقا، وفي كل شيء، ابتداءً من توحيده الذي هو حقه على عباده، وهو أعدل العدل، بإفراده وحده لا شريك له بكل ما أوجب على الخلق إفراده به، ذاتا وصفات وأفعالا، وعبادة وتألها، وطاعة وتحاكما،

وخشية ومحبة وتوكلا، ومن العدل: الإنصاف بين الرعية، والقسط بين المتخاصمين في القضية، والمساواة بين المستحقين في العطية.

وفي الحديث الأول بيان فضل المقسطين يوم القيامة، سواء من أقسطوا في رعيتهم أو أهليهم، وأنهم على منابر من نور على يمين الرحمن، وهم أول من يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة، كما في الصحيح: "سَبْعَةٌ يُظلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ..."، وكما جاء عَنْ عِيَاضِ بن حِمار ﵁، قالَ: سمِعْت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقولُ: "أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقيقٌ القَلْبِ لِكُلِّ ذي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيالٍ" رواهُ مسلم.

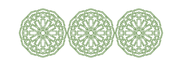
كما في الحديث بيان وجوب العدل على كل ذي ولاية عامة كالإمام العام، أو خاصة كالرجل في أهله.

وفي الحديث الثاني وجوب العدل في القضاء، والمساواة بين المتحاكمين، وإنفاذ الأحكام على الجميع، وأن الله إنما أهلك الأمم بإقامتها الحكم والحد والعقوبة على الضعيف دون القوي الشريف.

وفي الحديث الثالث وجوب العدل على الوالد بين أولاده في العطية، إذا تساووا في الاستحقاق والحاجة، وتحريم التفضيل بينهم، وأنه جور محرم.

فعمت هذه الأحاديث كل صور الولاية، وأوجبت العدل مطلقا، مع الجميع، كما في حديث ابن عمر ﵁ حين أمر رسول ﷺ عبدالله بن

رواحة ﷺ أن يخرص ثمار خيبر، بعد فتحها، فأرادوا رشوته ليخفف عنهم، فقال لهم: "يَا أَعْدَاءَ اللهِ، تُطْعِمُونِي السُّحْتَ، وَلَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ " فَقَالُوا: "بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ" رواه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم.



المجلس الحادي والعشرون

في البيوع وما يحرم منها وأسباب تحريمها:

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[البقرة:٢٧٥]، وقال ﷻ: ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ﴾[النساء:٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[البقرة:١٨٨]، وقال ﷻ: ﴿ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾[هود:٨٥]، وقال ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ المطففين.

١) عن جابر رضي الله عنه، قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ"، وقال: "هُمْ سَوَاءٌ" رواه مسلم.

٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "لَا تَلَقَّوْا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تُصَرُّوا الْغَنَمَ، وَمَنْ ابْتَاعَهَا فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا، إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ" متفق عليه.
وعنه أيضا، عن النبي ﷺ: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" رواه مسلم.

٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ" رواه مسلم.

۞شرح المجلس۞

جاءت السنة في بيان أحكام القرآن في البيوع فقررت بأن الأصل في البيوع كلها الحل والإباحة، كما قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ إلا ما حرمه الله، وكل البيوع المحرمة يعود تحريمها إلى سبب من الأسباب التالية:

١- الربا، حيث حرم الله الربا بكل صوره، الظاهر منه كربا النسيئة والأجل، وهو ما يؤخذ في القرض من الزيادة مقابل الأجل في السداد، وربا الزيادة والفضل وكل ما يؤول إلى الربا في البيوع حيث اشترط العلم بالتماثل والتساوي في الأصناف الستة الضرورية من الأقوات والنقد، كما في حديث عبادة بن الصامت ﵁ في الصحيحين، قال: قال رسول الله ﷺ: " الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ" ويؤخذ حكم هذه الأصناف كل ما تحقق أو ترجح فيه نفي الفارق بينه وبين هذه الأصناف المنصوص عليها. ومثله بيع الرطب من الثمار باليابس منها في الصنف الواحد، كالتمر بالرطب، والزبيب بالعنب، لأنه لا يعلم التماثل، ويقع فيه التفاضل إذا جف الرطب، كما في حديث ابن عمر ﵄، قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمُزَابَنَةِ: أَنْ يَبِيعَ ثَمَرَ حَائِطِهِ إِنْ كَانَ نَخْلًا بِتَمْرٍ كَيْلًا، وَإِنْ كَانَ كَرْمًا أَنْ يَبِيعَهُ بِزَبِيبٍ كَيْلًا، وَإِنْ كَانَ زَرْعًا، أَنْ يَبِيعَهُ بِكَيْلِ طَعَامٍ، وَنَهَى عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ" متفق عليه واللفظ للبخاري.

وعن جابر بن عبد الله ﵄، قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْمُحَاقَلَةِ وَالْمُزَابَنَةِ وَالْمُخَابَرَةِ، وَعَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهُ، وَلَا يُبَاعُ إِلَّا بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ إِلَّا الْعَرَايَا

قال عطاء: فسر لنا جابر، قال: أَمَّا الْمُخَابَرَة: فَالْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ يَدْفَعُهَا الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ، فَيُنْفِقَ فِيهَا، ثُمَّ يَأْخُذُ مِنْ الثَّمَرِ، وَزَعَمَ أَنَّ الْمُزَابَنَةَ: بَيْعُ الرُّطَبِ فِي النَّخْلِ بِالتَّمْرِ كَيْلًا، وَالْمُحَاقَلَةَ فِي الزَّرْعِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، يَبِيعُ الزَّرْعَ الْقَائِمَ بِالْحَبِّ كَيْلًا " رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: جَاءَ بِلالٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بِتَمْرٍ بَرْنِيِّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟" قَالَ بِلالٌ: "كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيءٌ، فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِنُطْعِمَ النَّبِيَّ". فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: "أَوَّهْ، أَوَّهْ، عَيْنُ الرِّبَا، عَيْنُ الرِّبَا، لا تَفْعَلْ. وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ، ثُمَّ اشْتَرِهِ" وفي لفظ عنه قال: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَمْرٍ، فقال: "مَا هَذَا التَّمْرُ مِنْ تَمْرِنَا؟"، فقال الرجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِعْنَا تَمْرَنَا صَاعَيْنِ بِصَاعٍ مِنْ هَذَا، فَقَال رَسُول اللَّهِ ﷺ: هَذَا الرِّبَا فَرُدُّوهُ ثُمَّ بِيعُوا تَمْرَنَا وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هَذَا" رواه مسلم.

وعن ابن عمر ﵄، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا، وَعَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ بِالتَّمْرِ" متفق عليه.

٢- الغش: وهو كل إخفاء لعيب في السلعة، بحيث يمنع الاطلاع عليه من شرائها لو علمه المشتري، أو ينقص من قيمتها، كما في حديث أبي هريرة أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟"، قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: "أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ، فَلَيْسَ مِنِّي" رواه مسلم، ولفظ: "مَنْ غَشَّ" يفيد عموم تحريم الغش مطلقا بكل صوره، ومع كل أحد، ومن الغش تصرية المواشي وعدم حلبها حتى تمتلأ ضروعها لبنا، كما في حديث أبي هريرة ﵁: "لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنْ

ابْتَاعَهَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْتَلِبَهَا إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا وَصَاعَ تَمْرٍ "متفق عليه واللفظ للبخاري.

فكل غش وقع في سلعة، فللمشتري الخيار، إن شاء ردها، ورد قيمة ما استهلك منها، أو أنقص البائع له من ثمنها بقدر ما فيها من عيب.

٣- الغرر: وهو كل مخاطرة في السلعة، وكل جهالة فيها تؤول إلى تعذر تمام البيع، أو تعذر استفادة المشتري من السلعة، أو وقوع النزاع بين المتبايعين، ولهذا اشترط النبي ﷺ تحقق العلم ببيوع السلم والسلف، التي يدفع فيها المشتري المال مقدما، على أن يأتي له البائع بالسلعة الموصوفة بالذمة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: قدم النبي ﷺ المدينة، وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال ﷺ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ، فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ" متفق عليه.

ومثله اشتراط الشارع لصحة البيع قبض المشتري للسلعة قبل بيعها لآخر، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "مَنِ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ" متفق عليه، إذ قد يتعذر عليه قبضه واستيفاؤه من البائع الأول، فيكون قد غرر بالمشتري الثاني وباع له ما لا يستطيع تسليمه له، كما قد يكون البيع صوريا والغرض الحصول على قرض من البائع بفائدة، بصورة البيع، دون قبض للسلعة، فيكون من باب التحايل على الربا، فأمر الشارع بقبض السلعة لقطع ذريعة التحايل على أخذ الربا، وهو من صور بيع العينة المحرمة.

٤- الاحتكار والإضرار بالسوق، كما في حديث معمر بن عبد الله رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: "لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ" رواه مسلم، ويعم ذلك كل صور

الحكر للسلع الضرورية التي لا يستغني العامة عنها، وحبسها عنهم ليرفع المحتكر سعرها، وكذلك حرم الشارع عكس ذلك وهو كل ما يضر بالأسواق ويضر بالتجار كالتسعير للسلع دون قيمة سوقها الفعلية، كما في حديث أنس ﵁ عندما غلا السعر في عهد رسول الله ﷺ فقال الناس: "يَا رَسُولَ اللّٰهِ غَلاَ السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وإني لأَرْجُو أَنْ أَلْقَي اللّٰهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلاَ مَالٍ" رواه أبو داود والترمذي وصححه.

وكذا حرم الشارع البيع على البيع، والسوم على السوم، بخفض البائع قيمة السلعة عن سعر السوق لينفق بضاعته ويصرف المشتري عن بضاعة البائع الأول، أو يدفع في السلعة أكثر من قيمتها ليصرف البائع عن المشتري الأول، ومثله استقبال التجار السلع قبل وصولها السوق ليرفعوا سعرها، وكذا حرم النجش، وهو زيادة السوم في السلعة لا بقصد شرائها بل بقصد رفع سعرها، وكل هذه الصور جاء تحريمها في حديث أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ، قال: " لَا تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ لِلْبَيْعِ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تُصِرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلِبَهَا إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا وَرَدَّهَا صَاعًا مِنْ تَمْرٍ " متفق عليه، فنهى عن تلقي الركبان وأن يبيع حاضر لباد حتى لا يرفع ذلك قيمة السلع قبل وصولها الأسواق، وحرم النجش والبيع على البيع حتى لا ترفع السلعة عن سعر يومها بالنجش، ولا تبخس حقها بالبيع عليها بسعر أقل، وحرم التصرية لما فيها من الغش، وعن عبد الله بن عمر ﵄، أن رسول الله ﷺ، قال: "لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا تَلَقَّوْا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا

إِلَى السُّوقِ" متفق عليه واللفظ للبخاري، فدل على أن القاعدة هي أن تكون الأسواق هي المحدد للأسعار بحسب العرض والطلب الحقيقي.

وعن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِعِ الْمَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا يَخْطُبِ الْمَرْءُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ الْأُخْرَى لِتَكْتَفِئَ مَا فِي إِنَائِهَا، وَلَا يَسُمْ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ" رواه مسلم.

والغاية من ذلك كله ترك السوق بحسب العرض والطلب بلا ضرر ولا إضرار، وبلا حكر ورفع للأسعار يضر المشتري، ولا تسعير وخفض للأسعار يضر الباعة، كما في حديث جابر ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: " لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ" رواه مسلم.

٥- الظلم وأكل المال بالباطل بلا مقابل، وهو السبب الخامس من أسباب تحريم الشارع لكثير من صور البيع، كما عن أنس بن مالك ﵁، أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهو، فقيل له: وما تزهو؟ قال: حتى تحمر وتصفر. فقال رسول الله ﷺ: "أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ" متفق عليه.

وعن جابر بن عبد الله ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: "إِنْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا، فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ؟" رواه مسلم.

فلا يحل بيع لا يحصل لكلا الطرفين حقه فيأخذ المشتري سلعته كما أرادها بطيب نفس منه بلا بخس، وأخذ البائع ثمنها بلا نقص.

٦- الإخلال بالرضا في البيع أو بالشروط فيه، فقد أوجب الشارع الوفاء بالبيوع بشروطها الجائزة، كما جعل للمتبايعين الخيار قبل التفرق في البيع، حتى يتحقق الرضا من كل منهما من جهة، ويتحقق العلم بما تبايعا به، فعن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "الْمُتَبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ عَلَى صَاحِبِهِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا بَيْعَ الْخِيَارِ" متفق عليه.

٧- البيع للمحرم بيعه والتحايل على بيعه، وهذا من أسباب تحريم الشارع لكثير من البيوع، إما لكون المبيع محرم، كما عن عائشة ﷺ قالت: لما نزلت آيات سورة البقرة عن آخرها، خرج النبي ﷺ، فقال: "حُرِّمَتْ التِّجَارَةُ فِي الْخَمْرِ " رواه البخاري.

أو لكون العقد تحايل لبيع محرم، كما عن جابر بن عبد الله ﷺ، أنه: سمع رسول الله ﷺ، يقول عام الفتح وهو بمكة: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةَ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ" فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ قَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: "قَاتِلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمِ الشُّحُومَ، فَأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ" متفق عليه واللفظ للبخاري.

زاد أبو داود بإسناد صحيح: " وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ".

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا، وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا" متفق عليه.

وابن عباس ﷺ، يقول: بلغ عمر بن الخطاب أن فلانا باع خمرا - وكان واليا وقد أخذه من أهل الجزية فباعه - فقال: قاتل الله فلانا، ألم يعلم

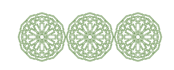


أن رسول الله ﷺ قال: "قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَّلُوهَا"

متفق عليه واللفظ للبخاري.

وقد جمع كل شروط صحة البيع وآدابه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن يهوديا قدم زمن النبي ﷺ بثلاثين حمل شعير وتمر، فسعر مدا بمد النبي ﷺ وليس في الناس يومئذ طعام غيره، وكان قد أصاب الناس قبل ذلك جوع لا يجدون فيه طعاما، فأتى النبي ﷺ الناس يشكون إليه غلاء السعر، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "لأَلْقَيَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ فِي بَيْعِكُمْ خِصَالا أَذْكُرُهَا لَكُمْ لا تَضَاغَنُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا يَسُمِ الْمَرْءُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ وَلا يَخْطُبِ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلا تُلْقُوا شَيْئًا مِنَ الْبَيْعِ حَتَّى يجيء سوقكم وَلا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَالْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ فَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"

صحيح ابن حبان.



المجلس الثاني والعشرون

الرحمة بالخلق والإحسان إليهم وقضاء حاجاتهم والتيسير والستر عليهم:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء] ، **وقال** ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾[النحل]، **وقال** ﷻ: ﴿لَا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[الممتحنة]، **وقال** ﷻ: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْسانًا وَذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣]

١) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وأبي هريرة رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ" وهذا لفظ جرير، ولفظ أبي هريرة رضي الله عنه: "أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ"" رواهما مسلم.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عن النَّبِيَّ ﷺ قال: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" رواه أبوداود والترمذي وصححه، ولفظه: "ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ".

٢) عن عبد الله بن سلام ﵁، قال: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: يَا أَيُّهَا النّاسُ أفْشُوا السَّلام، وَأَطعِمُوا الطْعَامَ، وَصِلُوا الأْرحامَ، وَصَلُّوا والنَّاس نيامٌ، تَدْخُلوا الجُنَّة بِسَلاَم "رواه الترمذي وصححه.

٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" رواه مسلم.

❁شرح المجلس❁

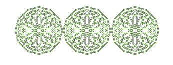
في هذه الأحاديث تأكيد الغاية التي من أجلها بعث الله رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[سورة الأنبياء]، والحديث الأول هو المشهور عند أهل الحديث بالمسلسل بالأولية "الراحمون يرحمهم الرحمن"، وهو أول حديث يسمعه الطالب من شيخه لمعرفة غاية الدعوة النبوية، وهي الرحمة بالخلق عامة، وبأهل الأرض كافة، والإحسان إليهم ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣]، والبر لهم والقسط معهم ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّه

عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [الممتحنة]، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الرحمة مخصوص بها الراحمون دون غيرهم، وأن من لا يرحم الخلق لا يرحمه الله يوم القيامة، كما في حديث: "لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ" رواه أبو داود والترمذي وصححه، وكلما كان الإنسان أحوج للعطف والرحمة كالطفل الصغير، والشيخ الكبير، والفقير، والضعيف، كانت الرحمة به أحق وأوجب.

وفي الحديث الثاني بيان أول ما دعا إليه النبي ﷺ حين دخل المدينة بإفشاء السلام، وهو تحية الإسلام، لإشاعة الأمن الذي هو حجر الأساس في قيام المجتمعي الإنساني، فلا يخاف أحد أحدا، ولا يخشى غدره وغيلته، وإشاعة المحبة كما في الصحيح: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"، وإطعام الطعام، وهو الأساس الثاني في المجتمع الإيماني، حتى لا يبقى فيه فقير جائع، ولا معدم قانع، ثم أمرهم بصلة الأرحام؛ لتعزيز أواصر المجتمع، وترابط أسره، وحمايتها من التفكك.

وفي الحديث الثالث الحث على إغاثة المكروب، وتفريج كربته، والتيسير على المعسر بالدين، بتأجيل الدين، أو إسقاطه، أو تحمل السداد عنه، والحث على الستر على الأعراض، وعدم تتبع عورات الناس، والحث على أن يكون الإنسان في عون أخيه وفي حاجته، يقضيها عنه، ويعينه عليها، وأن جزاء من قام بشيء من ذلك أن يفرج الله عنه كربه، وأن يستر عيبه،

يوم القيامة، أحوج ما يكون العبد إلى تنفيس كربه، وستر عيبه، وتيسير حسابه.



المجلس الثالث والعشرون

في وجوب حسن الخلق وأنه لا إيمان ولا دين لمن لا خلق له، والتحذير من مساوئ الأخلاق:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[القلم]، **وقال** ﷻ: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٣٠﴾ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً ﴿٣٣﴾ وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ

لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهًا آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء]، وقال ﷻ: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

١) عن أبي هريرة وجابر وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهم، واللفظ له، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا" متفق عليه من حديث عبدالله، ولفظه عند أحمد عنه: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُهَا، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"، ورواه الترمذي وأحمد عن جابر بلفظ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "الْمُتَكَبِّرُونَ". ورواه أحمد عن أبي هريرة ولفظه: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ؟ "، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا" وفي لفظ: "وَأَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"، وفي رواية: "خَيْرُكُمْ إِسْلَامًا

أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، إِذَا فَقِهُوا"، ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري ولفظه: " أَكْمَلُ النَّاسِ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ".

٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي! فَقَالَ: "اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وفي رواية: "إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَاعْمَلْ حَسَنَةً، فَإِنَّهَا عَشْرُ أَمْثَالِهَا" وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" رواه الترمذي وأحمد.

٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وعَائِشَةَ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْ شَيْءٌ يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَلَاةِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ"، رواه الترمذي وأحمد عن أبي الدرداء، ولفظ عَائِشَةَ ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ"، رواه أبوداود وأحمد عنها.

۞شرح المجلس۞

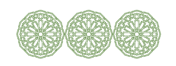
في هذه الأحاديث بيان مكانة حسن الخلق في الإسلام، وأنها قطب رحاه، وروحه وغايته، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ - عند أحمد - قَالَ: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَادِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"، فلا حقيقة للإيمان ولا للدين بلا خلق الأمانة وخلق الوفاء، وعن

عمر ﷺ قال: "لَا يَغُرَّنَّك صَلَاةُ امْرِئٍ وَلَا صِيَامُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ". وهو الغاية من بعثه ﷺ كما في حديث "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ - أو صَالِحَ - الأَخْلاقِ" رواه احمد، وهي وصيته ﷺ إلى أبي ذر ﷺ بعد تقوى الله والتوبة، أن يخالق الناس بخلق حسن، فهو أثقل شيء في ميزان الحسنات يوم القيامة، فيدرك الإنسان بحسن خلقه درجة الصائم بالنهار لا يفطر، القائم بالليل يصلي لا يفتر، وأحسن الناس خلقا هم خيار المسلمين بشهادة رسول الله ﷺ، وهم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وأقربهم منه منزلا يوم القيامة، وقد وصفهم ﷺ بأنهم الموطئون أكنافا بلينهم ورفقهم، ويألفهم الناس بأدبهم وحسن خلقهم، كما إن شرارهم وأبغضهم إلى رسول الله ﷺ، وأبعدهم منه يوم القيامة، بشهادة رسول الله ﷺ هم من ساءت أخلاقهم، من المتكبرين، والثرثارين، والمرائين، والمتظاهرين بما ليس فيهم، وقد أخبر ﷺ عن ارتباط الخلق بالإيمان -كما في الصحيحين- فقال ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". وأخبر ﷺ بأصول الأخلاق في الإسلام، وأولها وأجلها الصدق كما في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى



الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا"، وكذلك الأمانة والوفاء بالعهد، كما في حديث: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَاد ينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"، والحياء كما في الصحيحين: "والحياء شعبة من الإيمان"، وكما في حديث: "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ". والحياء خلق يمنع النفس عن كل ما يعيبها، والحلم كما في قوله ﷺ لأشج عبد قيس رضي الله عنه: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة".

كما حذر ﷺ من مساوئ الأخلاق، كما في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ، حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وفي رواية: وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"
وكما في صحيح مسلم عن عياض المجاشعي: "أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ -أي: لا عفة ولا عزيمة تمنعه عن المحارم- الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ، وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ".



المجلس الرابع والعشرون

فضل العلم والعلماء والدعوة إلى الخير والتيسير والرفق:

قال تعالى: ﴿قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحانَ اللَّهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[يوسف]، **وقال** ﷻ:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[الزمر:٩]، **وقال** ﷻ:﴿كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨]

١) عنْ أبي الدرداء وأَبي هُريرةَ رضي الله عنهما واللفظ له أنَّ رسُول اللَّه ﷺ قالَ: "مَنْ سلَك طرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" رواهُ مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ أَبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه: "منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَرِيقًا إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضًا بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ فِي السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ فِي الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ، وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ" رواه أبو داود والترمذي.

٢) عن أنس وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري ﭫ واللفظ له أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَاتَخْتَلِفَا"، ولفظ أنس ﭬ: "يَسِّرُوا وَلاَتُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا"، ولفظ أبي هريرة ﭬ: "قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ" وزاد في رواية قال الأعرابي: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: "لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا" يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ" متفق عليها.

٣) عن أبي هريرة ﭬ أنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كانَ لهُ مِنَ الأجْر مِثلُ أُجورِ منْ تَبِعهُ لاَ ينْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" رواه مسلم.

۞شرح المجلس۞

في هذه الأحاديث بيان مكانة العلم في الإسلام، والدعوة إلى الله على علم وبصيرة، والرفق فيها، وتعليم الناس الخير، ففي الحديث الأول عظيم أجر من طلب العلم، وأنه من سلك طريقا إليه سهل الله له به طريقا إلى الجنة، إذ لا يمكن الوصول إلى الله ومعرفة ما يرضيه إلا بالعلم الذي أنزله، وأوحاه إلى رسله، ولهذا كان أول ما نزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

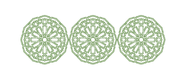
الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[سورة العلق]، وفيه بيان فضل مجالس العلم في المساجد، وتعلم القرآن وتدارسه، وأنه به وعلى أهله تنزل السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده، وهذا الفضل لكل مجلس علم، ولو لم يكن في المسجد، وإنما خرج ذكر المسجد مخرج الغالب، ويشترط لتحقق الفضل لمن طلب العلم الشرعي أن يكون لوجه الله كما في حديث أبي هريرة عنه ﷺ: "منْ تَعلَّمَ عِلمًا مِما يُبتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عز وَجَلَّ، لا يَتَعلَّمُهُ إلاَّ ليصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيا، لَمْ يجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يوْم القِيامةِ "يَعْنِي: رِيحَهَا، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح، وأشرف العلوم العلم بالقرآن تلاوة وعلما وعملا، كما في حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه في البخاري عَنِه ﷺ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"

والغاية من تدارس القرآن وطلب العلم الشرعي هو الفقه في دين الله، كما في حديث مُعاوِيةَ عنه ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللَّه بِهِ خيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ" متفقٌ عليه، والمراد بالفقه هنا الفهم العميق، والعلم الدقيق بمراد خطاب الله كله، أصولا وفروعا، وكيف ينزل على الواقع لتحقيق غاياته ومقاصده كما أراد الله.

وفي الحديث الثاني بيان ما يجب على العلماء الدعاة إلى الله من الرفق بالخلق، والتيسير عليهم، والرحمة بهم، فإنما بعث الله محمدا ﷺ وأمته رحمة للعالمين، وميسرين لا معسرين، ومبشرين لا منفرين، وهو ما كان يوصي به ﷺ علماء أصحابه إذا وجههم لبلد، ولم يكن يولي هذه المهمة إلا العلماء كأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فالغاية من الدعوة

هداية الخلق والتيسير عليهم حتى في حال الحرب، كما أوصى ﷺ عليا رضي الله عنه حين أرسله إلى حصون خيبر فأعطاه الراية، فقال علي رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فو اللَّهِ لأنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم" متفق عليه.

وفي الحديث الثالث بيان فضل الدعوة إلى الخير، وأن لمن دعا إلى هدى وخير وبر مثل أجر من عمل به إلى يوم القيامة، كما في حديث: "إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ"، وكذا فيه بيان خطورة الدعوة إلى الباطل، وأن لمن دعا إليه مثل أوزار من اتبعه وعمل به، وهو أكثر ما يضل الخلق حين يتخذون رؤوسا جهالا بغير علم فيضلونهم، كما في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "إنَّ اللَّه لاَ يقْبِض العِلْم انْتِزَاعًا ينْتزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، ولكِنْ يقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ حتَّى إِذَا لمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا فَسئِلُوا، فأفْتَوْا بغَيْرِ علمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا".



المجلس الخامس والعشرون

الإصلاح في الأرض وعمارتها بما ينفع الخلق بلا ظلم ولا إثم وإحيائها بالغرس وفضل التجارة والعمل:

قال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها﴾[الأعراف:٥٦]، وقال ﷻ:﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[البقرة:٦٠]، وقال ﷻ:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾محمد، وقال ﷻ:﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾الأعراف، وقال ﷻ:﴿وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ ﴿٢٠٥﴾﴾البقرة.

١) عن جابر وأنس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، أو يزرع زرعا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، أَوْ دَابَّةٌ، أَوْ طَائِرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً" متفق عليه عن أنس، وراه مسلم عن جابر، وفي لفظ عنه: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ"، وفي رواية له عند أحمد: "مَنْ أَحْيَى أَرْضًا مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ"، وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه: "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا"، وعنده عن معاذ الجهني رضي الله عنه: "مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ

غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ، وَلَا اعْتِدَاءٍ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتُفِعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى".

٢) عَنِ المِقْدَامِ بن معد يكرب رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" رواه البخاري وابن ماجه ولفظه: "مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ"، وعند أحمد عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ ﷺ: "عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنه ﷺ: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ إِلَى الجَبَلِ فيحتطب، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ ،وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ" متفق عليه.

٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنه ﷺ: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالْقَائِمِ الليل لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ النهار لَا يُفْطِرُ" متفق عليه، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عَنه ﷺ: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ"، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم.



۞شرح المجلس۞

في هذه الأحاديث الحث على عمارة الأرض وإصلاحها بإحيائها وغرسها وزرعها، كما في الحديث الأول، وأن الإنسان يؤجر على كل إصلاح فيها ينتفع به غيره بأكل، أو ظل ونحوه، بشرا كان أو بهيمة أو طائرا، وهو من العبادة بمفهومها العام وهو فعل ما يحبه الله ويرضاه، ويدخل في ذلك كل عمارة أو صناعة عمرها صاحبها بوجه مشروع، بلا ظلم ولا إثم، فانتفع بها، ونفع أو انتفع بها غيره، بلا قصد، فإن كان بقصد كان الأجر مضاعفا، وكانت العبودية فيه بمعناها الخاص وهو قصد الطاعة والقربة إلى الله، وفيه أن الإحسان إلى كل مخلوق صدقة، حتى الطير والبهائم والسباع، كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁، عنه ﷺ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلب يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكلب مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكلب، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ "قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: "نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ".

وخير عمارة الأرض بناء المساجد، كما في الصحيحين عن عثمان﵁، عنه ﷺ: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ"، ومثله حفر الآبار، وشق الأنهار، ليشرب منها العامة، كما في حديث عثمان ﵁، في النسائي: "هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ؟ فَقَالَ ﷺ: "مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ فِيهَا

دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟" فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي فَجَعَلْتُ دَلْوِي فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ".

ويعم ذلك كل صناعة أو عمارة يكون نفعها عاما.

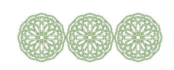
وفي الحديث الثاني بيان أطيب وجوه العمل وكسب الرزق، وأنه كسب الإنسان بيده، ولو بالاحتطاب وبيع الحطب، فيأكل من كسب يده، ويتصدق على غيره بما فضل عنده، وأن من ذلك أيضا البيع المبرور، والتجارة الحلال، التي لا يخالطها حرام ولا مكروه من غش أو ربا أو نجش أو حكر أو ظلم أو غبن، بل تكون عن مسامحة وطيب نفس وصدق ووفاء ونصيحة.

وفي الحديث الثالث بيان فضل العامل الذي يقوم على رعاية الأرملة واليتيم والفقير والمحتاج، سواء كانوا أقارب، أو أجانب، وأن الساعي عليهم بالنفقة من كسبه، كالمجاهد في سبيل الله، وكالمصلي القائم بالليل لا يفتر، والصائم نهاره لا يفطر، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﵁ بيان ما يستحب إنفاقه من كل أصناف المال، فيما زاد على حاجة صاحبه، عند حاجة غيره إليه، من طعام أو ركاب، وربما صار واجبا.

وقد حث ﷺ أصحابه في شأن عمارة الأرض بالزراعة ووجه الإعمار بالرجوع إلى ما تقتضيه علومهم ومعارفهم التي يصلحون بها دنياهم ويعمرونها بها، كما عَنْ طلحة بن عبيد الله وأَنَسٍ ﵄ واللفظ له أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ - نخلهم - فَقَالَ: "لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ" قَالَ: فَخَرَجَ



شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: "مَا لِنَخْلِكُمْ؟ " قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"، ولفظ طلحة ﵁: "قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ ﷺ: "مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا" قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: "إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ" أي: لن أخطئ على الله، رواهما مسلم، وعن أبي قتادة ﵁ حِينَ نَامُوا عَنْ صَلاةِ الفَجرِ في سَفرِهم مع النّبي ﷺ ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ، وَصَلَّوْا الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، ثُمَّ صَلَّوْا الْفَجْرَ، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْنَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: فَرَّطْنَا فِي صَلَاتِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَقُولُونَ؟ إِنْ كَانَ أَمْرَ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ، وَإِنْ كَانَ أَمْرَ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ" رواه أحمد.

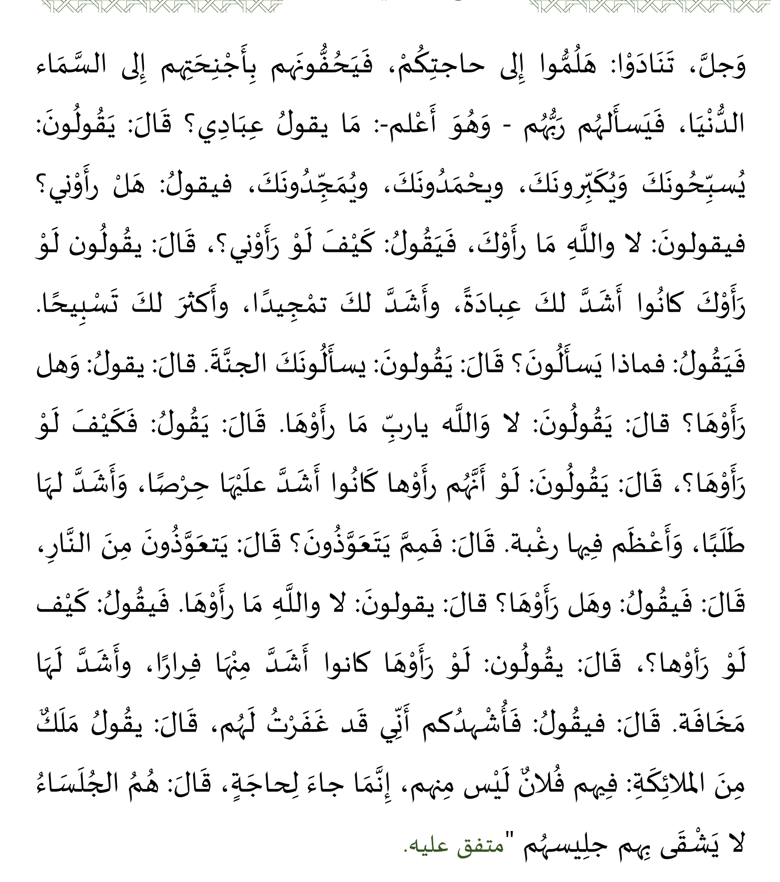


المجلس السادس والعشرون

فضل مجالس الذكر، وعمارة القلوب بذكر الله والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيمانًا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، **وقال** ﷻ:﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١]، **وقال** ﷻ:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢]، **وقال** ﷻ:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب:٤١-٤٢]، **وقال** ﷻ:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، **وقال** ﷻ:﴿الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ۝ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٦-١٥٧]، **وقال** ﷻ:﴿اذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة:٢٠٠]، **وقال** ﷻ:﴿إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأنفال:٤٥]، **وقال** ﷻ:﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى مَا هَداكُمْ﴾[الحج:٣٧]، **وقال** ﷻ:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[آل عمران:١٩١]، **وقال** ﷻ:﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا﴾[هود:٩٠].

١) **عنْ أَبي هُريرةَ ؓ، عنه ﷺ قال: "إِنَّ للَّهِ تَعالى ملائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُق، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإِذا وَجدُوا قَوْمًا يذكُرُونَ اللَّه عَزَّ**



وَجلَّ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلى حاجتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهم بِأَجْنِحَتِهِم إِلى السَّمَاء الدُّنْيَا، فَيَسأَلُهُم رَبُّهُم - وَهُوَ أَعْلم-: مَا يقولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرونَكَ، ويحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقولُ: هَلْ رأَوْني؟ فيقولونَ: لا واللَّهِ مَا رأَوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟، قَالَ: يقُولُون لَوْ رَأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تمْجِيدًا، وأَكثرَ لكَ تَسْبِيحًا. فَيَقُولُ: فماذا يَسأَلُونَ؟ قَالَ: يَقُولونَ: يسأَلُونَكَ الجنَّةَ. قالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّه ياربِّ مَا رأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟، قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُم رأَوْها كَانُوا أَشَدَّ علَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لهَا طَلَبًا، وَأَعْظَم فِيها رغْبة. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَتعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيقُولُ: وهَل رَأَوْهَا؟ قالَ: يقولونَ: لا واللَّهِ مَا رأَوْهَا. فَيقُولُ: كَيْف لَوْ رَأوْها؟، قَالَ: يقُولُون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرارًا، وأَشَدَّ لَهَا مَخَافَة. قَالَ: فيقُولُ: فَأُشْهِدُكم أَنِّي قَد غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقُولُ مَلَكٌ مِنَ الملائِكَةِ: فِيهِم فُلانٌ لَيْس مِنهم، إِنَّمَا جاءَ لِحاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جلِيسهُم "متفق عليه.

٢) عن أَبي سعيد الخُدْريِّ ﷺ، قَالَ: خَرج معاوِيَة ﷺ علَى حَلْقَةٍ في المسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسكُمْ؟ قالُوا: جلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّه. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسكُم إلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: مَا أَجْلَسنَا إِلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أَما إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمةً لَكُم وَمَا كانَ أَحدٌ بمنْزِلَتِي مِنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ أقلَّ عنْهُ حَدِيثًا مِنِّي: إِنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ خرَج علَى حَلْقَةٍ مِن أَصحابِه فَقَالَ: "مَا

أَجْلَسكُمْ؟ "قالوا: جلَسْنَا نَذكُرُ اللَّه، ونحْمدُهُ علَى ماهَدَانَا لِلإِسْلامِ، ومنَّ بِهِ عليْنا. قَال ﷺ: "آللَّهِ مَا أَجْلَسكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قالوا: واللَّه مَا أَجْلَسنا إِلاَّ ذَاكَ. قالَ ﷺ: "أَما إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهمةً لكُمْ، ولِكنَّهُ أَتانِي جبرِيلُ فَأَخْبرني أَنَّ اللَّه يُباهِي بِكُمُ الملائِكَةَ "رواه مسلم.

٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عنه ﷺ: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ"؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ ﷺ: "ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى" قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: "مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" الترمذي وابن ماجه.

۞شرح المجلس۞

ذكر الله حياة القلوب عند غفلتها، وأنس النفوس عند وحشتها، وسعادة الأرواح عند بؤسها، ولهذا أمر الله بعمارة المساجد، ولزوم مجالس الذكر، وأخبر بأنها محل نزول ملائكته ورحمته وسكينته، وأنه يباهي بأهلها في الملأ الأعلى، وأنهم لا يشقى جليسهم، وقد حث عليها النبي ﷺ كما عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ فَأَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا، فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ: فَأَوَى إِلَى اللَّهِ،

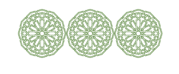
فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ " متفق عليه.

وكما عند الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "إِذَا مَرَرْتُمْ برِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا" قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: "حِلَقُ الذِّكْرِ"، وعند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ". وقد جعل النبي ﷺ من جاء للمسجد يعلم أو يتعلم كالمجاهد في سبيل الله كما عن ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: "مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ".

وقد أثنى النبي ﷺ على أهل الذكر وأثبت أنهم السابقون يوم القيامة إلى الجنة، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: "سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ" قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ ﷺ: "الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ". وبالذكر أوصى رسول الله ﷺ وأوجز وصيته لمن استوصاه، كما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﵁، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ ﷺ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" رواه

الترمذي وابن ماجه وأحمد ولفظه: "أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيَّانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ خَيْرُ الرِّجَالِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟ قَالَ ﷺ: "لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ"، وقد شبه النبي ﷺ أهل الذكر بالأحياء، كما عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ" متفق عليه، ولهذا كان ﷺ لا يفتر عن ذكر الله في كل أحيانه، وعلى كل أحواله، كما في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ"، وكان ﷺ يتأول القرآن، ويعمل بما جاء فيه من الأمر بالذكر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[سورة الأحزاب]، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾[نوح:١٠]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[الفرقان:٥٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]، فعلم أمته الأذكار المقيدة في الصلوات، وبعدها، وفي الصباح والمساء، وأعداد كل ذكر من الأذكار، ومن الأذكار ما هو مطلق بلا عدد، ولا وقت محدد، وكان ﷺ يأمر أصحابه بكثرة الذكر، كما في صحيح مسلم عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ"، وكان ﷺ يستغفر في مجلس الواحد مائة مره، كما في صحيح مسلم عن الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"، وبشر من أكثر من الاستغفار بالجنة، كما عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا"

رواه ابن ماجه. ومن أفضل الذكر الصلاة عليه ﷺ، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا"، وفي صحيح ابن حبان عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً"، وأفضل ما يكون الذكر المطلق في الليل، كما عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ! اذْكُرُوا اللَّهَ! جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ! جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ"، وجاء في فضل الصلاة عليه ﷺ كما عن أُبَيٌّ رضي الله عنه حين سأل النبي ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ ﷺ: "مَا شِئْتَ". قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ ﷺ: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ ﷺ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ ﷺ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ ﷺ: "إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ"، رواه الترمذي وأحمد مختصرا بلفظ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ: "إِذَنْ يَكْفِيَكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ".



المجلس السابع والعشرون

الأمر بالتجمل والمحافظة على النظافة ظاهرا وباطنا وأكل الطيبات ولبسها بلا إسراف ولا خيلاء:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف]، **وقال** ﷻ:﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ لمنْكر وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف:١٥٧]، **وقال** ﷻ:﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحًا إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴿٥١﴾﴾[المؤمنون]

١) عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ: "حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ"، "وَأَنْ يَمَسَّ طِيبًا إِنْ وَجَدَهُ". متفق عليه عن أبي هريرة، والزيادة عنه في صحيحي ابن خزيمة وابن حبان، وروى ابن حبان عن ابن عمر مثله.



٢) عن عبدِ اللَّهِ بن مسعُودٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ يَدْخُل الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مثْقَالُ ذَرَّةٍ مَنْ كِبرٍ". فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُه حَسَنًا، ونعلهُ حَسَنَةً؟ قَالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّه جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ" رواه مسلم عن ابن مسعود، وأحمد ولفظه: "لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي غَسِيلًا، وَرَأْسِي دَهِينًا، وَشِرَاكُ نَعْلِي جَدِيدًا، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ، حَتَّى ذَكَرَ عِلَاقَةَ سَوْطِهِ، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: "لَا، ذَاكَ الْجَمَالُ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ، وَازْدَرَى النَّاسَ". ورواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَجُلٌ حُبِّبَ إِلَيَّ الْجَمَالُ، وَأُعْطِيتُ مِنْهُ مَا تَرَى، حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يَفُوقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلِي، وَإِمَّا قَالَ: بِشِسْعِ نَعْلِي، أَفَمِنَ الْكِبْرِ ذَلِكَ؟ قَالَ ﷺ: "لَا، وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ، وَغَمَطَ النَّاسَ" وبَطَرُ الحقِّ: دفْعُهُ وردُّهُ عَلَى قائِلِهِ. وغَمْطُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ.

٣) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ" وقال ﷺ: "كُلُوا، واشربوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ" روى الترمذي شطره الأول، والنسائي وابن ماجه شطره الثاني، وأحمد مطولا، وروى عن أَبِي رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ قَالَ: خَرَجَ

عَلَيْنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ وَعَلَيْهِ مِطْرَفٌ مِنْ خَزٍّ لَمْ نَرَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ". وروى عن أبي الْأَحْوَصِ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَشِفُ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مَالٌ؟" قَالَ: قُلْتُ: "نَعَمْ" قَالَ: "مِنْ أَيِّ المالِ؟" قَالَ: قُلْتُ: مِنْ كُلِّ المالِ مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْخَيْلِ وَالْغَنَمِ، فَقَالَ ﷺ: "إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ"

❁شرح المجلس❁

كما أمر الإسلام بعمارة الأرض وصلاحها، وعمارة النفس الإنسانية وإصلاحها بالعمل الصالح، كذلك أمر بالتجمل والزينة ظاهرا بلبس الجميل، وباطنا بالتطهر من كل خلق ذميم من كبر وظلم، فإن الله جميل يحب الجمال، فأمر بالمحافظة على جمال الظاهر، في البدن واللباس والمكان، وأوجب الغسل للجسد والشعر، والسواك والطيب للرائحة الجميلة للفم والجسد، كما في الصحيحين عن عمر وعن ابن عمر ﷺ عنه ﷺ: "مَنْ جَاءَ مِنْكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ"، وفي الصحيحين عن عائشة ﷺ قَالَتْ: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالعَوَالِيِّ، فَيَأْتُونَ يُصِيبُهُمُ الغُبَارُ وَالعَرَقُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا"، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ"

وأمر بتنظيف البدن من كل أذى، وقص الأظفار، والشارب، والمحافظة على سنن الفطرة، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عنه ﷺ: "خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ"، وكما في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ" قَالَ الراوي وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ "الْمَضْمَضَةَ" قَالَ وَكِيعٌ: "انْتِقَاصُ الْمَاءِ: يَعْنِي الِاسْتِنْجَاءَ". وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَال: "وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً".

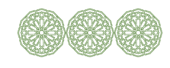
وأمر ﷺ من له جمة وشعر كثيف أن يكرمه بمشطه ودهنه، كما عند أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ"، وروى مالك في الموطأ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ الأَنْصَارِيَّ ﵁ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ لِي جُمَّةً أَفَأُرَجِّلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ وَأَكْرِمْهَا"، فَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ رُبَّمَا دَهَنَهَا فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ، لِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَكْرِمْهَا"، وأمر بتغيير الشيب وصبغه تجملا وتزينا، ومخالفة لرهبانية أهل الكتاب الذين يتعبدون بترك الشعر، فقال ﷺ كما في الصحيحين: "إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يصبغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ"، وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁: "غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ".

وكذلك أمر كما في الحديث الثاني بالجمال والزينة، وظهور أثر نعمة الله على عباده، وبالأكل والشرب واللبس بلا إسراف وتبذير، ولا مخيلة وكبر، كما حرم لباس السرف والمخيلة، فحرم الحرير والذهب على الرجال، كما جاء عن عَلِيِّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﵁ قال: "إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا، فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي"، وكما في الصحيحين عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁، قَالَ: "أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرُّوجُ حَرِيرٍ، فَلَبِسَهُ، فَصَلَّى فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا كَالكَارِهِ لَهُ، وَقَالَ: لاَ يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ"، وكذلك حرم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، كما في الصحيحين عن عبدالله بن عمر ﵄ عنه ﷺ: "إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ"، وفيهما عن حذيفة ﵁ عنه ﷺ: "لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ، وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ".

وكما أباح للنساء الذهب والحلي والحرير كله، والزينة كلها، فقد حرم عليها تغيير خلق الله بالوشم في الجلد، والوصل للشعر، والنمص وهو إزالة وحلق الحاجبين، كما في الصحيحين عن ابن عمر ﵄ عنه ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ"، وعن ابن مسعود ﵁ عنه ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ"

ولا يقتصر الجمال والنظافة على البدن واللباس فقط، بل يتعديان إلى تطهير المكان، ووجوب المحافظة على نظافته، كما في الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ﵁ عنه ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فنظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ"، ولهذا نهى ﷺ عن قضاء الحاجة كالبول في طريق الناس أو ظلهم، وأماكن جلوسهم، كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ" قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"

ونهى عن تنجيس المياه كما عَنْ جَابِرٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ".

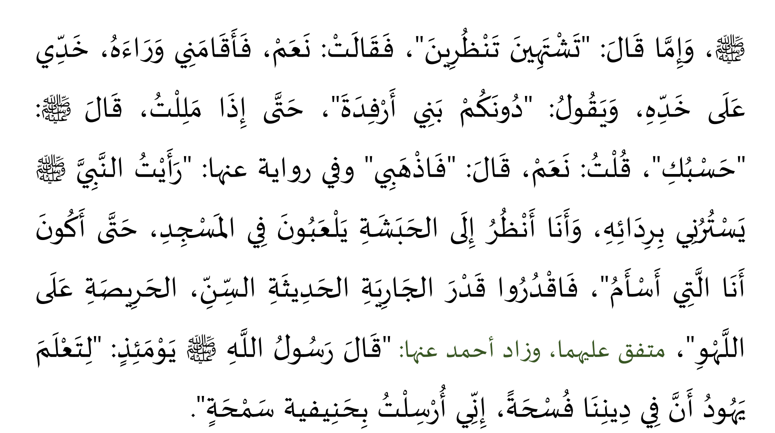


المجلس الثامن والعشرون

فضل مخالطة الناس ومراعاة عاداتهم في أفراحهم ومجالسهم والصبر عليهم:

قال تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ﴾[الفرقان:٢٠]

١) عن عَائشة وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما واللفظ له قَالَ: "بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "دَعْهُمْ يَا عُمَرُ". ولفظ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنَى تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: "دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ" وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ" يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ. وفي لفظ لها رضي الله عنها: "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "دَعْهُمَا". فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا، قَالَتْ: وَكَانَ يَوْمُ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ



ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: "تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ". فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَيَقُولُ: "دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ"، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ ﷺ: "حَسْبُكِ"، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "فَاذْهَبِي" وفي رواية عنها: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَسْأَمُ"، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ"، متفق عليهما، وزاد أحمد عنها: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ: "لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفية سَمْحَةٍ".

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَعِبَتِ الْحَبَشَةُ لِقُدُومِهِ بِحِرَابِهِمْ فَرَحًا بِذَلِكَ" رواه أبوداود وأحمد، وزاد في رواية: "كَانَتِ الْحَبَشَةُ يَزْفِنُونَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَرْقُصُونَ وَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِحٌ، -وَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامٍ لَا يَفْهَمْهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يَقُولُونَ؟" قَالُوا: يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ عَبْدٌ صَالِح".

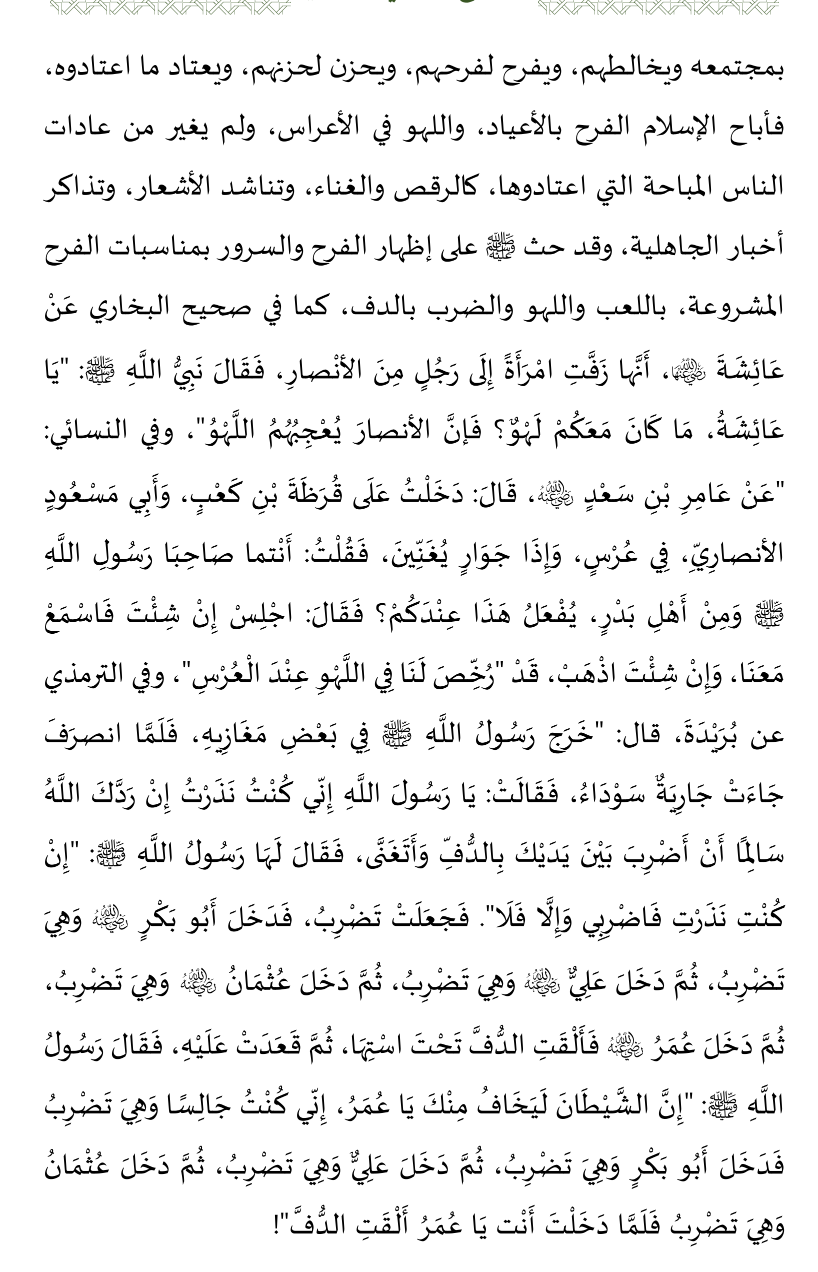
٢) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: "كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ، وَيَتَبَسَّمُ ﷺ" رواه مسلم، وأحمد ولفظه: "كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ، وَيَتَذَاكَرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاكِتٌ فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ" أَوْ قَالَ: "كُنَّا نَتَنَاشَدُ الْأَشْعَارَ، وَنَذْكُرُ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ

الْجَاهِلِيَّةِ، فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ ﷺ"، وفي لفظ: "وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ".

٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ" فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ" - أو "دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ" - قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ الْمُهَاجِرُونَ بَعْدُ - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ محمدًا كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" متفق عليه، وزاد مسلم: "فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ".

❁شرح المجلس❁

جاء الإسلام بالحنيفية السمحة التي لا آصار فيها ولا أغلال، ولا رهبانية، فهي موافقة للفطرة البشرية في كون الإنسان اجتماعي بطبعه، يأنس

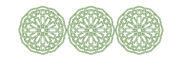


بمجتمعه ويخالطهم، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، ويعتاد ما اعتادوه، فأباح الإسلام الفرح بالأعياد، واللهو في الأعراس، ولم يغير من عادات الناس المباحة التي اعتادوها، كالرقص والغناء، وتناشد الأشعار، وتذاكر أخبار الجاهلية، وقد حث ﷺ على إظهار الفرح والسرور بمناسبات الفرح المشروعة، باللعب واللهو والضرب بالدف، كما في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ ؓا، أَنَّهَا زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الأنصارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ". وفي النسائي: "عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ؓ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى قُرَظَةَ بْنِ كَعْبٍ، وَأَبِي مَسْعُودٍ الأنصارِيِّ، فِي عُرْسٍ، وَإِذَا جَوَارٍ يُغَنِّينَ، فَقُلْتُ: أَنْتما صَاحِبَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، يُفْعَلُ هَذَا عِنْدَكُمْ؟ فَقَالَ: اجْلِسْ إِنْ شِئْتَ فَاسْمَعْ مَعَنَا، وَإِنْ شِئْتَ اذْهَبْ، قَدْ "رُخِّصَ لَنَا فِي اللَّهْوِ عِنْدَ الْعُرْسِ". وفي الترمذي عن بُرَيْدَةَ، قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انصرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ سَالِمًا أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّى، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلَّا فَلَا". فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ؓ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ ؓ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ ؓ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ ؓ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، ثُمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، إِنِّي كُنْتُ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْت يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ"!

وقد أمر ﷺ بمخالطة الناس، ومعاشرتهم بالحسنى، والصبر على ذلك، كما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا - أو خير - مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

كما بين ﷺ كيف يراعي المصلح أحوال المجتمع، وينهى عما كان من أمر الجاهلية بحكمة، وكيف يستدل على الحق بما تعارفوه بينهم من المعروف، كما عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ ﷺ: "ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ ﷺ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ ﷺ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ". قَالَ ﷺ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ ﷺ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ ﷺ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ ﷺ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ" رواه أحمد. وفي الحديث الثالث بيان مراعاة رأي الناس، وأعرافهم، وأخذ قولهم بعين الاعتبار، فلا يدع الإنسان لقولهم السوء سبيلا، "لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ محمدًا كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"،

وكما قال ﷺ في الصحيحين: "يَا عَائِشَةُ، لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ"، ولوضوح هذا الأصل قرر الفقهاء والأصوليون قاعدة (العرف معتبر والعادة محكمة).



المجلس التاسع والعشرون

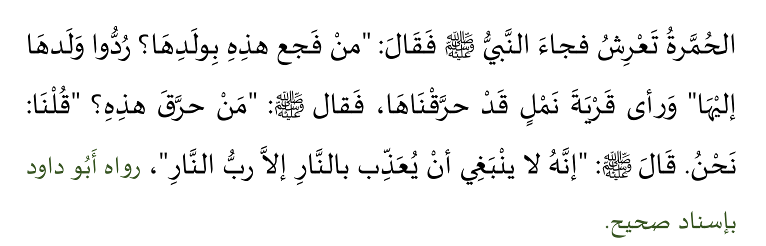
فضل الرحمة بالحيوانات، والرفق بالبهائم والطير، وتحريم تعذيبها:

قال تعالى: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ مَا فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام وقال ﷻ:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء

١) عنِ ابنِ عُمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال: "عُذِّبتِ امْرَأةٌ في هِرَّةٍ حبستها حَتَّى ماتَتْ، فَدَخلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أطْعمتْهَا وسقَتْها، إذ هي حبَسَتْهَا، وَلاَ هِي تَرَكتْهَا تَأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأرض"، وعنْ ابن عمر رضي الله عنه: "أنَّهُ مرَّ بفِتْيَانٍ مِنْ قُريْشٍ قَدْ نصبُوا طَيْرًا، وهُمْ يرْمُونَهُ، وقَدْ جعلُوا لِصاحبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رأوْا ابنَ عُمرَ تفَرَّقُوا فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: منْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعنَ اللَّه مَن فَعلَ هَذَا، إنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرضًا". متفق عليهما.

٢) عن ابن عباس رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ علَيهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِم في وجْهِه، فقَال: لَعَنَ اللَّه الَّذي وسمهُ" وفي رواية: "نَهى رسُولُ اللَّه ﷺ عَنِ الضَّرْبِ في الوجهِ، وعنِ الوسْمِ في الوجهِ" رواه مسلم.

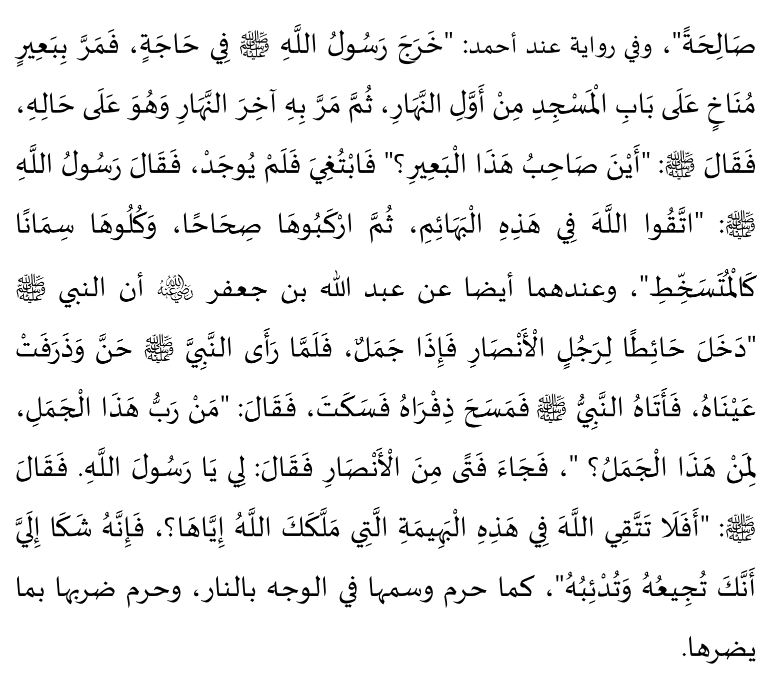
٣) عن ابنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه، قَال: كُنَّا مَعَ رسُولِ اللَّه ﷺ في سفَر، فَانْطَلَقَ لحَاجتِهِ، فَرأيْنَا حُمَّرةً معهَا فَرْخَانِ، فَأَخذْنَا فَرْخيْها، فَجَاءتْ



الحُمَّرةُ تَعْرِشُ فجاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: "منْ فَجع هذِهِ بِولَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدهَا إليْهَا" وَرأى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حرَّقْنَاهَا، فَقال ﷺ: "مَنْ حرَّقَ هذِهِ؟ "قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ ﷺ: "إنَّهُ لا ينْبَغِي أنْ يُعَذِّب بالنَّارِ إلاَّ ربُّ النَّارِ"، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

❁شرح المجلس❁

في هذه الأحاديث بيان عموم رحمته ﷺ للعالمين، كما وصفه ربه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾[الأنبياء]، حتى عمت الرحمة التي بعثه الله بها الطير في سمائها، والنمل في جحورها، والوحش في قفارها، بما شرعه من أحكام تخص الحيوان كله، وحشيه وأنسيه، من الأمر بالرفق به، ورحمته، وتحريم تعذيبه، كما عند أحمد عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ، وَأَنَا أَرْحَمُهَا - أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا - فَقَالَ ﷺ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ، وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّه"، وأخبر ﷺ بأن فيها أجرا وصدقة، كما عند ابن ماجه وأحمد عن سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي، قَدْ لُطْتُهَا لِإِبِلِي، فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ إِنْ سَقَيْتُهَا؟ قَالَ ﷺ: "نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ"، وحرم إجاعتها وتحميلها ما يشق، أو إدآبها بالعمل عليها بلا راحة، كما عند أبي داود عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ ﷺ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ ﷺ: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا



صَالِحَةً"، وفي رواية عند أحمد: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ، فَقَالَ ﷺ: "أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟" فَابْتُغِيَ فَلَمْ يُوجَدْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ، ثُمَّ ارْكَبُوهَا صِحَاحًا، وَكُلُوهَا سِمَانًا كَالْمُتَسَخِّطِ"، وعندهما أيضا عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ "دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: "مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ ". فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ ﷺ: "أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ"، كما حرم وسمها في الوجه بالنار، وحرم ضربها بما يضرها.

وأخبر أن الرحمة بالبهائم سبب لرحمة الله بالعبد يوم القيامة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: "أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا؟ فسقته، فَغُفِرَ لَهَا"، وأن تعذيبها قد يكون سببا لدخول النار، كما في المرأة والهرة التي حبستها حتى ماتت، وكذلك أمر ﷺ بالرحمة بها عند ذبحها لأكلها، وإحسان الذبح كما في صحيح مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

المجلس الثلاثون

وصاياه ﷺ أمته، العامة منها والخاصة، واشتمالها على كل أصول الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام:١٥٢]، وقال ﷻ:﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾[النساء:١١].

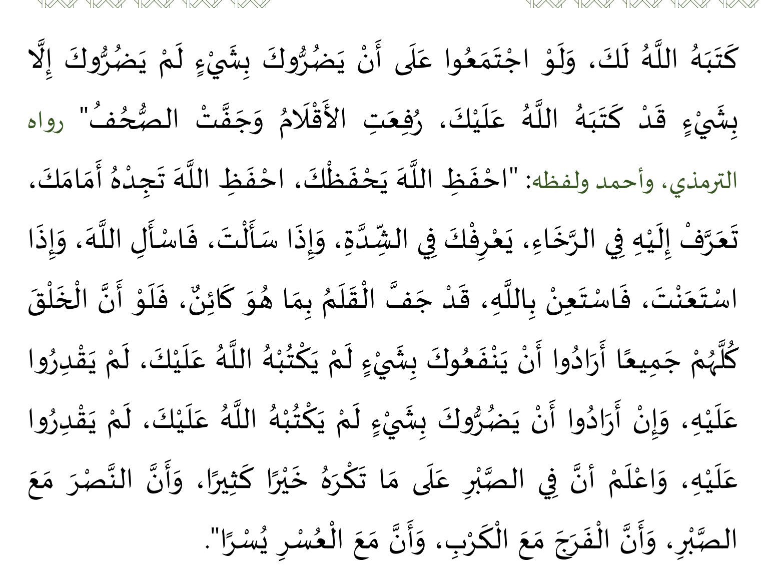
١) سئل عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْصَى؟ فَقَالَ: لاَ ! "أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ" متفق عليه.

وعن الْعِرْبَاض بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ ﷺ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، ولفظ ابن ماجه: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ".



٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ ﷺ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ"، ثُمَّ قَالَ ﷺ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ" قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ" ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَال ﷺ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" رواه الترمذي وأحمد.

٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ



كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" رواه الترمذي، وأحمد ولفظه: "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

۞شرح المجلس۞

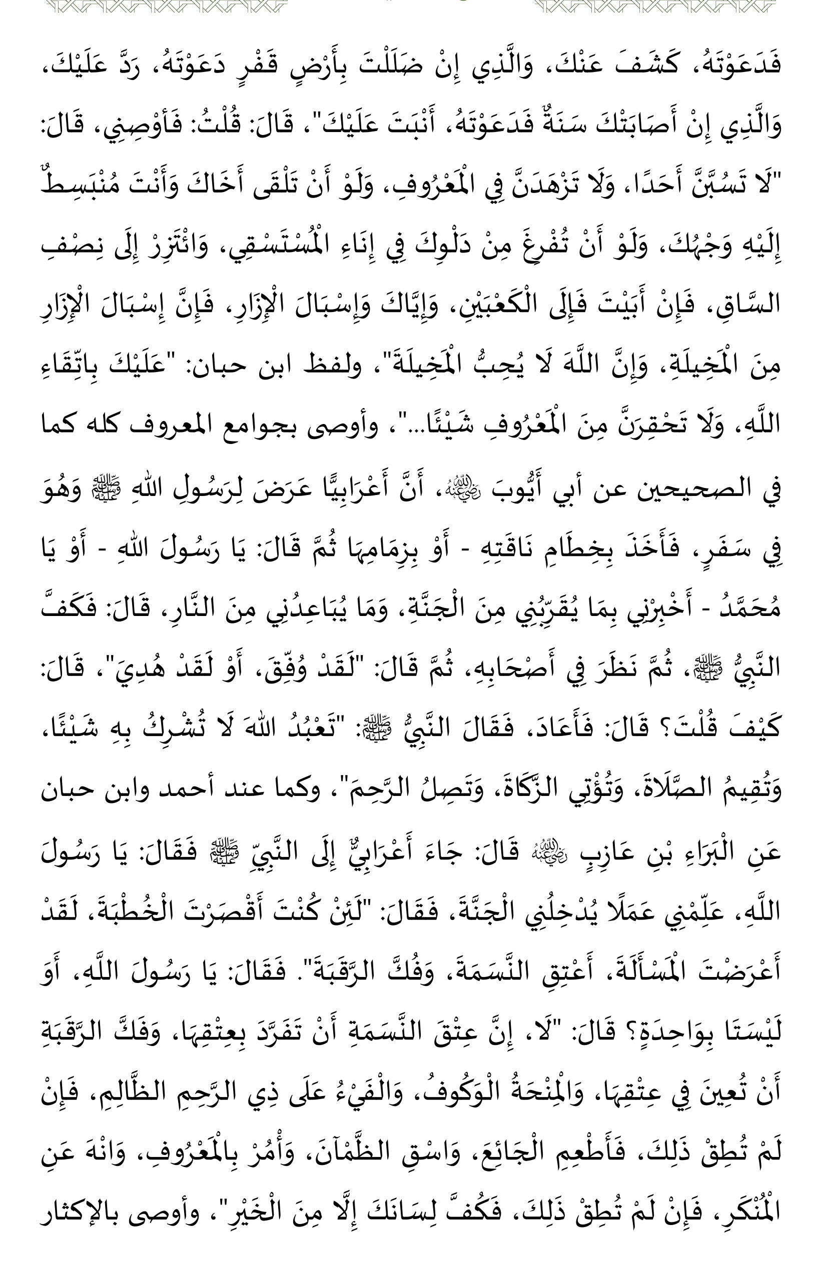
هذه بعض وصاياه ﷺ أمته، وهي كثيرة مباركة جامعة للخير كله، فمنها ما هو عام للأمة كلها، ومنها ما هو خاص بحسب حال من استوصاه من أصحابه، أو أوصاهم به لما يرى من تفاوت أحوالهم وحاجاتهم، فمن وصاياه العامة وصيته بالتمسك بالكتاب وهداياته، وبالسنة النبوية، وسنن الخلفاء الراشدين، خاصة في باب الخلافة وسياسة الأمة، من الحكم بما أنزل الله، والشورى، والعدل، والتحذير من المحدثات، كالملك العضوض، والملك الجبري، كما أوصى بالاجتماع، وعدم الافتراق، وحذر من الفتن الخاصة والعامة، والاقتتال بين المسلمين، كما عَنْ جابر بن سمرة وابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما واللفظ له قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا

النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، ومَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ" رواه الترمذي عن ابن عمر، وأحمد عنهما، كما أوصى ﷺ بوصايا إيمانية، كما في وصية ابن عباس رضي الله عنه، بكمال التوحيد المطلق لله، والتوكل عليه وحده، والإيمان بالقضاء والقدر، وأوصى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها، كما عند أبي داود عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، واتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ". فربط بين حق الله، وحق الضعيف المملوك، وكما في مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: "إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ، وَأَنْ أُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَ الْقَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةً"، وزاد أحمد: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثَةٍ: "وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ"، كما أوصى بالمحافظة على نوافل الطاعات، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: "صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ"، كما أوصى ﷺ بتقوى الله، وحسن الخلق، كما في الموطأ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: آخِرُ مَا أَوْصَانِي بِهِ

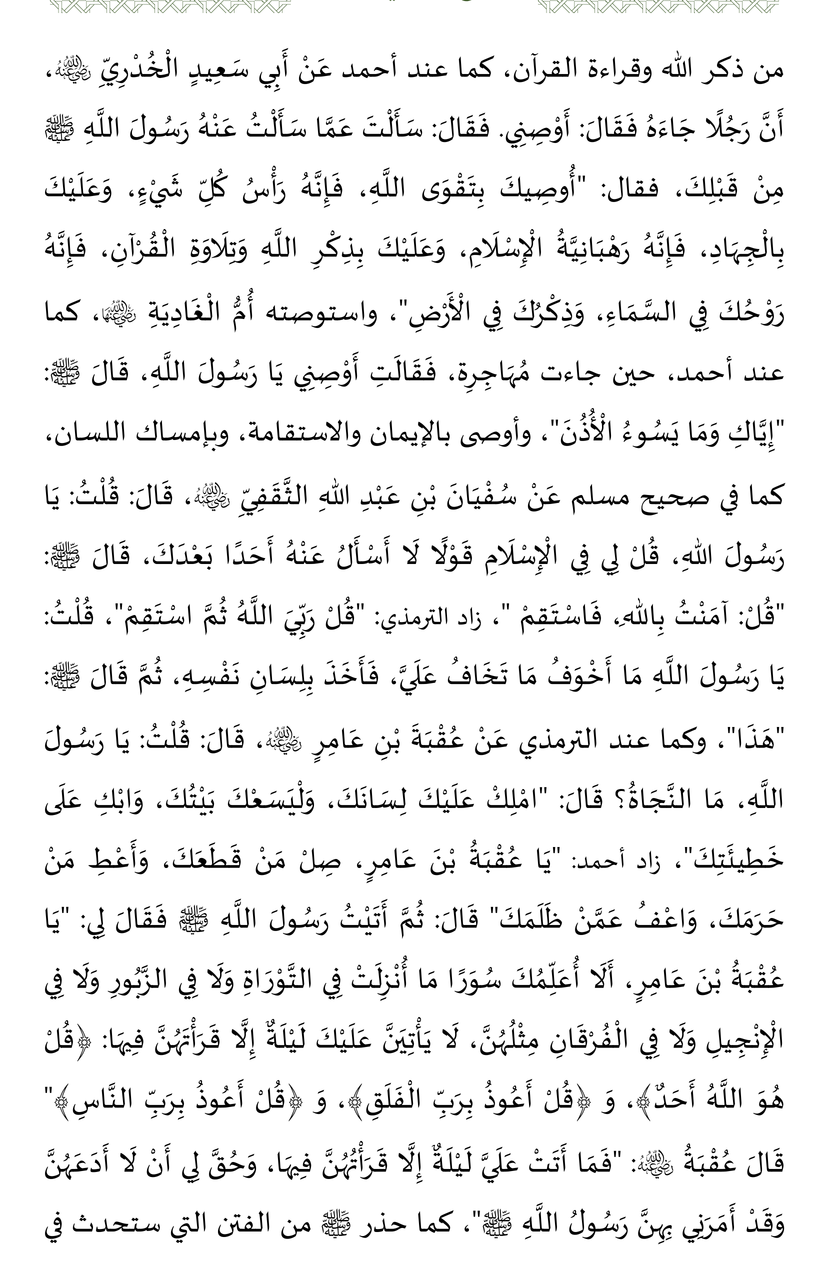
رَسُولُ اللَّه ﷺ حِينَ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْغَرْزِ أَنْ قَالَ: "أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ"، وعند ابن حبان أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَرَادَ سَفَرًا، فقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: "اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا"، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: "إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: "اسْتَقِمْ، وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ"، وفي رواية أحمد: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي! قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ"، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: "أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا"، قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: "خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"، وكما عند الترمذي وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ استوصاه: "أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ"، زاد الترمذي ثم ذهب الرجل، فقال ﷺ: "اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ"، وأوصى بالدعاء، والإخلاص فيه حتى على أداء الطاعة، كما عند أبي داود عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ"، فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "، كما أوصى بتجنب الغضب وأسبابه، ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ"، وزاد أحمد: "قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّه"، وأوصى بالجهاد والحج، والسماحة والصبر، والإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل قضاء الله للعبد خير وعدل، لا شر فيه، ولا ظلم، فلا يتهم الله بعدله، كما عند أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ

وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﭬ واللفظ له، قَالَا: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقٌ به، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ"، قَالَ الرَّجُلُ: أَكْثَرْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! - ولفظ عبادة ﭬ قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَلِينُ الْكَلَامِ، وَبَذْلُ الطَّعَامِ، وَسَمَاحٌ، وَحُسْنُ خُلُقٍ" -ولفظ عبادة قَالَ: "السَّمَاحَةُ وَالصَّبْرُ"- قَالَ الرَّجُلُ: أُرِيدُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ: "اذْهَبْ فَلَا تَتَّهِمِ اللَّهَ عَلَى نَفْسِكَ"، ولفظ عبادة ﭬ قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ: "لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ فِي شَيْءٍ قَضَى لَكَ بِهِ".

وأوصى بفعل الخير والمعروف مهما قل، وترك التعرض للناس بالسب والشتم، ولو على سبيل القصاص والمجازاة، وترك الخيلاء بالسلوك واللبس، كما عند أحمد وابن حبان عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ ﭬ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحْتَبٍ بِشَمْلَةٍ لَهُ، وَقَدْ وَقَعَ هُدْبُهَا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟، أَوْ رَسُولُ اللَّهِ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَفْسِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُمْ فَأَوْصِنِي، فَقَالَ ﷺ: "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ، وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا"، "فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ أَحَدًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا"، وفي لفظ: "قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَامَ تَدْعُو؟ قَالَ ﷺ: "أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، الَّذِي إِنْ مَسَّكَ ضُرٌّ



فَدَعَوْتَهُ، كَشَفَ عَنْكَ، وَالَّذِي إِنْ ضَلَلْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ دَعَوْتَهُ، رَدَّ عَلَيْكَ، وَالَّذِي إِنْ أَصَابَتْكَ سَنَةٌ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَ عَلَيْكَ". قَالَ: قُلْتُ: فَأَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا، وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَاتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ". ولفظ ابن حبان: "عَلَيْكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا..."، وأوصى بجوامع المعروف كله كما في الصحيحين عن أبي أَيُّوبَ ﵁، أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ - أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ - أَوْ يَا مُحَمَّدُ - أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ"، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"، وكما عند أحمد وابن حبان عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: "لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ". فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ لَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: "لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ"، وأوصى بالإكثار



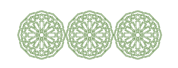
من ذكر الله وقراءة القرآن، كما عند أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ، فقال: "أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ"، واستوصته أُمُّ الْغَادِيَةِ ﵂، كما عند أحمد، حين جاءت مُهَاجِرَةِ، فَقَالَتِ أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ ﷺ: "إِيَّاكِ وَمَا يَسُوءُ الْأُذُنَ"، وأوصى بالإيمان والاستقامة، وبإمساك اللسان، كما في صحيح مسلم عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ ﷺ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ "، زاد الترمذي: "قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: "هَذَا"، وكما عند الترمذي عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: "امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ"، زاد أحمد: "يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: "يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾" قَالَ عُقْبَةُ ﵁: "فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتُهُنَّ فِيهَا، وَحُقَّ لِي أَنْ لَا أَدَعَهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"، كما حذر ﷺ من الفتن التي ستحدث في

جزيرة العرب، وأمر بلزوم الحق، والزوال معه حيثما زال، كما عند ابن حبان عن مُخَوَّلٍ الْبَهْزِيِّ ثُمَّ السُّلَمِيِّ، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام يَقُولُ: نَصَبْتُ حَبَائِلَ لِي بِالْأَبْوَاءِ، فَوَقَعَ فِي حَبْلِي مِنْهَا ظَبْيٌ، فَأَفْلَتَ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا قَدْ أَخَذَهُ، فَتَنَازَعْنَا فِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدْنَاهُ نَازِلًا بِالْأَبْوَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَسْتَظِلُّ بِنِطَعٍ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَيْهِ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَنَا شَطْرَيْنَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَلْقَى الْإِبِلَ، وَبِهَا لَبُونٌ، وَهِيَ مُصَرَّاةٌ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ، قَالَ: "فَنَادِ صَاحِبَ الْإِبِلِ ثَلَاثًا، فَإِنْ جَاءَ، وَإِلَّا فَاحْلُلْ صِرارَهَا، ثُمَّ اشْرَبْ، ثُمَّ صُرَّ، وَأَبْقِ لِلَّبَنِ دَوَاعِيَهُ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الضَّوَالُّ تَرِدُ عَلَيْنَا، هَلْ لَنَا أَجْرٌ أَنْ نَسْقِيَهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ" ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا، قَالَ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، خَيْرُ الْمَالِ فِيهِ غَنَمٌ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، تَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ، وَتَرِدُ الْمَاءَ، يَأْكُلُ صَاحِبُهَا مِنْ رِسْلِهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ لِبَانِهَا، وَيَلْبسُ مِنْ أَصْوَافِهَا"، أَوْ قَالَ: "مِنَ أَشْعَارِهَا، وَالْفِتَنُ تَرْتَكِسُ بَيْنَ جَرَاثِيمِ الْعَرَبِ، وَاللَّهِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: "أَقِمِ الصَّلَاةَ، وَآتِ الزَّكَاةَ، وَصُمْ رَمَضَانَ، وَحُجَّ الْبَيْتَ، وَاعْتَمِرْ، وَبِرَّ وَالِدَيْكَ، وَصِلْ رَحِمَكَ، وَاقْرِ الضَّيْفَ، وَمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَزُلْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ"، وكان آخر وصاياه ﷺ وهو على فراش الوفاة، إخراج المشركين من جزيرة العرب، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: "دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ، أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .. "، وعند أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ آخِرُ مَا عَهِدَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ قَالَ: "لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ"، وفي الموطأ عن عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قال: "كَانَ مِنْ آخِرِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ قَالَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، لاَ يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ".

وكانت أعظم وصاياه الجامعة ﷺ وصيته في خطبة الوداع في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضكم وأبشاركم، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَأَنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ - كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ - فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ " قَالُوا: نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ" ثلاثَ مَرَّاتٍ"، وفي لفظ: "وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كفارا، أو ضلالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ"، وفي لفظ عند الترمذي: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ " قَالُوا: يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ

بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بِلَادِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ". وفي رواية عن عمرو بن الأحوص عند الترمذي: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ".



الفَهرَس

